

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



## المركز الجامعي لميلة

المرجع:.....

المعهد: الآداب واللغات

القسم: اللغة و الأدب العربي

# جهود الجاحظ في التأسيس لعلم

# اجتماع لغوي من خلال البيان و التبیین

مذكرة معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر

التخصص : علوم اللسان العربي

الشعبة : لغة عربية

إشراف الأستاذ :

عبد الحميد بوفاس

عداد الطالب (ة) :

نبيلة شايب العين

السنة الجامعية : 2013/2012

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ و قل ربي زدني علما ﴾

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون

و الذين لا يعلمون ﴾

# شكر و تقدير

نشكر الله سبحانه و تعالى الذي خصنا برعايته و حفظه و انعم

علينا بالعلم و العقل و الصحة .

نشكر جزيل الشكر و مع فائق الاحترام و التقدير لأستاذنا

**المشرف — عبد الحميد بوفاس —**

الذي وقف إلى جانبنا و أمدنا بالعون و التوجيه فجزاه الله خيرا

نشكر أساتذة قسم اللغة و الأدب خاصة الذين أخذت عنهم العلم

و تواضع الأخلاق

و كافة الأسرة الجامعية دون استثناء

نشكر كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل

مقدمة

## مقدمة:

تعد اللغة من الخصائص التي منّ الله بها بني البشر و خصهم بها دون غيرهم من المخلوقات، و أكرمهم بالعقل و القدرة على استخدام اللغة منطوقة و مكتوبة لتحقيق الاتصال و إمكانية التواصل و التفاهم فيما بينهم .

و قد دفعت هذه الحقيقة العديد من المفكرين و العلماء بتخصصاتهم قديما و حديثا لدراستها من زوايا مختلفة و فروع متعددة كالنحو و الشعر و الأدب و الفقه... و كانت موضوع دراسة و بحث علماء الاجتماع حديثا و علم النفس ، و الأنثروبولوجيا ، و الفلاسفة و غيرهم، لما أنتجه من تفاعلات و علاقات التأثير المتبادلة لتيارات فكرية و علمية و ثقافية كان صداها تأسيس نظريات علمية في مختلف المجالات كعلم النفس اللغوي و علم الاجتماع اللغوي .

و لأن الحديث عن التراث العربي الإسلامي ، و عن مكانته في ظل الأبحاث المعاصرة و معطياتها أمر في غاية الأهمية ، و ذلك من أجل الكشف عن الرؤى الفكرية والفلسفية و النبوغ المعرفي و الفكري لتاريخ الحضارة العربية ، و قد أشار العلماء والمفكرون بتخصصاتهم كعلماء اللغة و علماء النفس و الاجتماع إلى جوانب تتعلق بالموضوع منها قضية اللغة و ماهيتها و وظيفتها و أنها أداة للتواصل و التعبير ، و كذا القضايا الاجتماعية الفكرية و الثقافية و التباين الاجتماعي ، و ما أفرزته الدراسات التراثية في قضايا اللغة والمجتمع استفادت منها دراسات العلوم الحديثة .

و في هذا المقام يمكن أن نطرح الإشكالات الآتية:

- هل أدرك الجاحظ الطبيعة الاجتماعية للغة ؟ و ما أهم الجوانب التي أشار إليها حول اللغة ، و يمكن أن نعدّها حقائق ضمن علم الاجتماع اللغوي ؟ و من ثم هل يمكن أن نعتبر الجاحظ رائدا من رواد علم الاجتماع اللغوي سبق علماء الغرب إلى حقائق مبكرة حول

الطبيعة الاجتماعية للغة في علاقاتها بمختلف السياقات و المواقف من جهة و البنى الاجتماعية على اختلاف تكوينها من جهة أخرى ؟

و للإجابة عن هذه الإشكاليات اخترت عنوان البحث و هو:

" جهود الجاحظ في التأسيس لعلم اجتماع لغوي من خلال "البيان و التبيين".

و من آفاق هذا البحث و فرضياته :

- الكشف عن نبوغ الفكر العربي و إثبات التمايز المعرفي لدى علماء التراث العربي الإسلامي .

- التوصل إلى بعض مكونات نظرية علم الاجتماع اللغوي الحديث.

- إثبات قدرة علماء الفكر العربي على تقديم أصول علمية و القدرة على التنظير .

و أما الهدف الرئيس من هذا البحث فهو الوقوف على أهم قضايا علم الاجتماع اللغوي عند الجاحظ، و بيان مختلف الموضوعات التي لها صلة بعلم الاجتماع اللغوي ما سبق إليه الجاحظ علماء اللغة المحدثين.

و أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع يمكن رصدها فيما يلي :

- قلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع وفق المنطلقات العلمية الحديثة لعلم الاجتماع اللغوي ، و ما له من أبعاد علمية و تراثية .

- الرغبة الجادة في الاطلاع على التراث العربي و ما يحمله من ثقافة علمية وطاقات فذة.

- موضوع الدراسة و ما يحمله من قيمة علمية و أبعاد ثقافية ما يجعل الباحث في قمة الشغف للإطلاع على المادة و الكشف عن أبعادها.

و نشير إلى بعض الكتب التي لها صلة وثيقة بالعنوان منها:

1. علي بوملحم : المناحي الفلسفية عند الجاحظ .
2. عيسى عودة برهومة : تمثلات اللغة و المجتمع في " البيان و التبیین " (مقال)
3. حلمي خليل : ارهاصات في علم اللغة الاجتماعي - (مقال) من كتاب دراسات في اللغة و المعاجم .
4. هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب .

و قد اتبعت منهجا وصفيا تحليليا ، إذ نأمل أن يجيب هذا المنهج عما طرح من إشكاليات في هذا البحث و يوضح نظرة الجاحظ للطبيعة الاجتماعية للغة .

و أما المحاور التي ارتكز عليها البحث فقد اشتملت على مقدمة و أربعة فصول وخاتمة حيث :

تناولت الفصل الأول منه " علاقة اللغة بالمجتمع " و أشرت إليه إلى مفهومي كل من اللغة و المجتمع ، حاولت من خلال هذا الفصل إبراز وظيفة اللغة و أثرها في المجتمع و كذا أثر المجتمع في اللغة و مدى تفاعل كل من البنية اللغوية و البنية الاجتماعية منها .

أما الفصل الثاني كان حول مفهوم " علم الاجتماع اللغوي " و نشأته و علاقة هذا العلم بمختلف العلوم الأخرى كما تناولت فيه المحاور الأساسية التي كان موضوع دراسة هذا العلم و مجالاته ، كالتغيير اللغوي اللهجات و تفرعاتها كاللهجات الاجتماعية ، اللهجات الفردية ، اللغة و الجنس المحظور اللغوي و أخيرا أهمية علم الاجتماع اللغوي .

ثم كان الفصل الثالث حول " اللغة و الاتصال عند الجاحظ " أشرت فيه إلى قيمة كتاب البيان و التبیین التي كانت الدراسة من خلاله ثم تناولت محور البيان و الوظيفة الاجتماعية كعنوان فرعي ، ثم أصناف الدلالات اللغوية عند الجاحظ ، و وضحنا معالم الدراسة الصوتية عند الجاحظ ليختم الفصل بالتنوع اللغوي عند الجاحظ .

أما الفصل الرابع و الأخير المعنون بـ " التغيير اللغوي عند الجاحظ " عالجت فيه مبدأ التغيير اللغوي و أسبابه منها اللحن و اللكنة ثم اللهجات الاجتماعية عرضت فيها اختلاف الممارسات اللغوية و صياغاتها تبعا للتباين الطبقي الاجتماعي.

ثم جاءت الخاتمة التي كانت عبارة عن جملة من النتائج المتوصل إليها من خلال البحث و التحليل، و قد أردفت بقائمة المصادر و المراجع المرتبة ترتيبا ألفبائيا و بعدها ملخصين البحث باللغتين العربية و الفرنسية.

و بناء على الوصف السابق فإن خطة البحث المفصلة هي كما يلي:

\* مقدمة

- الفصل الأول : اللغة و المجتمع

- مفهوم اللغة
- مفهوم المجتمع
- وظيفة اللغة و أثرها على المجتمع
- أثر المجتمع في اللغة
- التطور اللغوي و صلته بالمجتمع
- اللغة و التباين الاجتماعي
- بين البنية اللغوية و البنية الاجتماعية

- الفصل الثاني : علم الاجتماع اللغوي

- مفهوم علم الاجتماع اللغوي
- نشأة علم الاجتماع اللغوي



- بين علم اللغة الاجتماعي و علم الاجتماع اللغوي
- علم الاجتماع اللغوي و علاقته ببعض العلوم
- مجالات علم الاجتماع اللغوي
- موضوع علم الاجتماع اللغوي
- الفصل الثالث : اللغة و التواصل
- قيمة كتاب البيان و التبيين
- البيان و الوظيفة الاجتماعية
- مستويات التعبير عند الجاحظ
- الجاحظ و الدراسة الصوتية
- التنوع اللغوي و سياقة الموقف
- الفصل الرابع : التغير اللغوي عند الجاحظ
- مبدأ التغير اللغوي و أسبابه
- اللحن و الحدث الكلامي
- اللكنة
- اللهجات الاجتماعية
- الخاتمة
- قائمة المصادر و المراجع
- ملخص البحث باللغتين العربية و الفرنسية



- الفهرس

أما الصعوبات التي واجهتني بصدد إجراء هذا البحث هي :

- ضيق الوقت بما يتناسب و إجراء هذا البحث

و إني أحمد الله و أشكره على عونه و توفيقه في انجاز هذا العمل .

لا يفوتني أن أذكر بالعرفان و الامتتان ما أسداه لي أستاذي الجليل " عبد الحميد بوفاس " من توجيهات و نصائح كان لها عظيم الفائدة في وضوح الرؤية المنهجية والتناول النظري و العملي لهذا الموضوع ، فلم يبخل بوقته و علمه و فكره لأخطو نحو الأفضل جزاه الله خيرا .

# الفصل الأول

## اللغة و المجتمع

1. تمهيد
2. مفهوم اللغة
3. مفهوم المجتمع
4. وظيفة اللغة و أثرها على المجتمع
5. أثر المجتمع في اللغة
6. التطور اللغوي و صلته بالمجتمع
7. اللغة و التباين الاجتماعي
8. بين البنية اللغوية و البنية الاجتماعية

## 01- تمهيد :

اختصت الدراسات اللسانية الحديثة بدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية تعبر عن كيان فكري و حضاري لأي مجتمع من المجتمعات بتعدد ثقافته و عقائده و إيديولوجياته ولعل هذه الدراسات كانت امتدادا لدراسات سابقة قديمة خاصة " و أن الحديث عن اللغة بدأ في عصور ضاربة جذورها في أعماق التاريخ " (1) و لازالت موضوع بحث إلى العصر الحديث من حيث أنها أداة للفكر و التواصل و وسيلة للتعبير عن الرغبات و الحاجات لأفراد المجتمع الواحد .

و لا ريب أن النظر في اللغة من حيث خصائصها و وظائفها (\*) ، و علاقاتها المتشعبة مع مختلف العلوم بطرائقها و مناهجها الأثر الكبير في التأسيس لنظريات علمية متعددة و متخصصة لمختلف العلوم ، كعلم النفس اللغوي ، علم الأصوات الوظيفية الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، علم الاجتماع اللغوي أو ما يصطلح عليه باللسانيات الاجتماعية أو علم اللغة الاجتماعي ...

و من دون شك أن دراسة موضوع اللغة و البحث في سيرورتها من حيث النشأة والتطور لا يخرج عن الإطار الاجتماعي المؤسس لها و علاقاته بالأنماط الثقافية التي تحيا فيه و الناتج عن تفاعل الظاهرتين ( اللغوية و الاجتماعية ) و ترابطهما ، إن هذا الارتباط بين الظاهرتين يخولنا أن نقف لدراسة و معرفة مدى التفاعل بين اللغة و المجتمع و فهم قوانينه .

(1) - أحمد مومن : اللسانيات النشأة و التطور ، ط3 ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ، 2007م ، ص5.  
\* - ميز رومان جاكسون ست وظائف لغوية تنبثق عن مكونات النموذج التواصلية هي : (1) الوظيفة المعرفية " الوضعية " أو " المرجعية" (2)الوظيفة التعبيرية expressive الانفعالية (3) الوظيفة الافهامية conative (4) الوظيفة الانتباهية phatique (5) الميتالسانية métalinguistique (6) الوظيفة الشعرية poétique.

## 02- مفهوم اللغة :

إن مفهوم اللغة كنظام من الرموز الصوتية و وسيلة للتواصل و التعبير و كظاهرة إنسانية ، يختلف تعريفها من عالم إلى آخر كل حسب تخصصه و اتجاهه ، و ذلك وفق ما تؤديه اللغة من وظائف و أدوار في أطر مختلفة و عبر أزمنة متعاقبة ، و لكن مهما يكن من اختلافات من حيث ماهيتها فإن اتفاق العلماء حول اختصاص اللغة من حيث الوظيفة واضح و هي أنها أداة للتواصل و التبليغ و التعبير عن الأفكار و الرغبات .

و اللغة كمصطلح له أصوله و دلالاته الخاصة فهي " من أصل يوناني هي كلمة "لوغوس" التي معناها " كلمة " و " كلام " ، و ذكر المختصون من استعمالاتها في اليونانية الوحي ، و الحكم أو المثل أو القصة ، أو المقالة ، أو القضية المنطقية أو التعريف ، أو التفكير ... الخ (1).

و قد ورد مصطلح - اللغة - في قاموس اللسان لابن منظور على أنها " اللغة : اللسنُ وحدها أصوات يعبر كل قوم عن أغراضهم ، و هي فعلة من لغوت - أي تكلمت و أصلها لغوة ، ككرة و قلة ، و ثبة و كلها لاماتها و وات ، و قبل أصلها لغى أو لغو الهاء عوض و جمعها لغى مثل برة ، و برى " (2)

و يوضح العالم الفرنسي و اللساني الشهير "أنطون ميبه" مصطلح اللغة فيقول " إن كلمة اللغة تعني كل جهاز كامل من وسائل التفاهم بالنطق المستعملة في مجموعة بعينها من بني الإنسان ، بصرف النظر عن الكثرة العددية لهذه المجموعة البشرية ، أو قيمتها من الناحية الحضارية " (3)

(1) - حسن ظاظا : اللسان و الانسان مدخل الى معرفة اللغة ، ط2 ، دار اعلم دمشق دار الشامية ، بيروت ، 1990م ، ص121.

(2) - ابن منظور : لسان العرب ، تح خالد رشيد القاضي ، ج12 ، ط1 ، دار صبح ، إديسوفت ، 2006م ، ص 290 .

(3) - حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص121.

و لعل كلمة لغة لم تكن شائعة وى متداولة في القديم و لا في العصر الإسلامي فقد كان هذا المصطلح أعنى اللغة غير المستعملة بل " كانوا يستعملون كلمة لسان للدلالة على اللغة ، و هكذا يضطرد الأمر في القرآن الكريم " (1) ، كقوله تعالى : " و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " (2) و قوله أيضا " بلسان عربي مبين " (3) و كذلك " و من آياته خلق السموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين " (4).

و مهما يكن من اختلافات في أصول الألفاظ أو الدلالات اللغوية أو المفاهيم فإن الاتفاق الحتمي للغة في جانبها الوظيفي و هي أنها أداة للتعبير و الإبلاغ و التواصل ، وفي هذا يقول ابن جني : " حدها - اللغة - أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (5) إن هذا التعريف يفضي بحقائق عن ماهية اللغة و خصائصها و وظيفتها و هي :

1. " الطبيعة الصوتية للغة .
2. الوظيفة الاجتماعية للغة من حيث كونها أداة للتعبير و الاتصال .
3. اختلاف اللغة باختلاف المجتمع " (6).

(1) - حسن ظاظا : اللسان و الإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، ص120.

(2) - سورة ابراهيم : الآية 4.

(3) - سورة الشعراء : الآية 195.

(4) - سورة الروم : الآية 22.

(5) - أبو الفتح عثمان ابن جني : الخصائص ، تح محمد النجار ، ج 1 ، ط2 دار الكتب المصرية، 1952م ، ص33.

(6) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ط1 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1998 م ، ص 157 .

و يعرفها العالم الأمريكي ادوارد سايبر (\*) إذ يقول " اللغة نظام من الرموز غير غريزية لتبليغ الأفكار و الأحاسيس و الرغبات بوساطة رموز مستحدثة بطريقة إرادية (1).

و هذا التعريف يستند إلى حقائق تختص بها اللغة و هي كما يلي :

" - اللغة نشاط إنساني مكتسب و ليس غريزي - اللغة وسيلة للاتصال الإنساني - اللغة نظام - اللغة رموز - اللغة اصطلاح - اللغة أصوات إنسانية" (2).

فمن غير المعقول أن نتصور وجود اللغة دون وجود إطار يحتضنها و يطورها وأنظمة تعمل على صياغتها ، و ذلك يتحقق في إطار العلاقات الإنسانية المجسدة بطبيعة الحال في المجتمع ، هذا الأخير الذي اختلف العلماء في تحديد تعريفه ، فماذا نعني بالمجتمع ؟

\* - ادوارد سايبر ( 1884-1939 ) عالم أمريكي متخصص في علم الإنسان ( الانثروبولوجيا ) و علم اللغة ساهم في تأسيس فرعين جديدين للبحث في علم الإنسان هما علم الإنسان اللغوي ، علم الإنسان النفسي له كثير من المقالات وكتاب واحد موسع بعنوان اللغة : مقدمة في دراسة الكلام .

(1) - أحمد مؤمن : اللسانيات النشأة ، ص6.

(2) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص159.

## 03- مفهوم المجتمع :

من المعروف أن المجتمع - أي مجتمع - هو جماعات من الأفراد تحكمهم أنظمة مختلفة بقوانينها العرفية و الدينية تربطهم علاقات إنسانية تعمل على بنائها الأفكار والعادات و التقاليد و القيم و اللغة و غيرها من الحقائق الأخرى المجسدة فيه ، قد يكون هذا المفهوم يفتقر إلى الموضوعية و يتعارض مع مفهوم المجتمع بمعناه العلمي الدقيق ، و في هذا الصدد فقد ظهرت عدة تعريفات قد تتداخل أحيانا و قد تتعارض أخرى تبعا للتداخل الفكري و الإيديولوجي للعلماء و الباحثين القدامى و المعاصرين ، فيعرفه حلمي خليل قائلا "إن المجتمع عبارة عن نسق مكون من الدين و الحضارة و العادات و التقاليد و النظم السياسية و الاجتماعية الأخرى و اللغة هي الوسيلة لتسير التبادل المادي و الفكري للمجتمع" (1) .

و بهذا التصور لمفهوم المجتمع يمكن تجسيد الحقائق الواقعية له ، و تحديد البنى المادية و المعنوية المكونة له ، فهو عبارة عن وجود إنسان تربطه قوانين تساهم في بناء ثقافته و أفكاره و حضارته ، و اللغة كأداة للتواصل تعمل على نقل هذه الحقائق و إبرازها و يذهب آخر فيقول " المجتمع يتكون من الناس و من مجموعة من النظم الاجتماعية و من الروابط المنظمة أو العلاقات النمطية التي تتحدد الطابع العام للعلاقات المتبادلة بين الناس من ناحية و في إطار النظم الاجتماعية من ناحية أخرى و نعني بذلك ما يسمى بالثقافة أو البنية الفوقية (2)

إن دراسة المجتمع بظواهره و نظمه و علاقاته التي تشكل ذلك الكل النسقي للبنية الاجتماعية لا يحصل إلا عن طريق اللغة كأداة لنقل أفكاره و ثقافته و سلوكاته .

(1) - حلمي خليل : دراسات في علم اللغة و المعاجم ، ص 201 .

(2) - محمود عودة : أسس علم الاجتماع ، (د،ط) ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، د ت ، ص117.



## 04- وظيفة اللغة و أثرها في المجتمع :

من دون شك أن تأسيس المجتمع لعاداته و تقاليده و ارتباطاته التواصلية القائمة على قوانين الاتفاق العرفي و الديني ، لا يتم إلا عن طريق اللغة كظاهرة اجتماعية و سلوك لغوي و التي تكمن أهميتها في وصف خصوصيات المجتمع التي تنتمي إليه و نقلها من جيل إلى جيل حيث يشير محمود السعران إلى أهمية اللغة فيقول : " إن أهمية اللغة لفهم الثقافة حق الفهم أمر أخذ يحس به من يعرضون لدراسة الحضارات ، و ذلك لأن أي نظام لغوي تعبير عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها و لنفسها ، و إن لم يكن هذا التعبير كاملا و من ثم فلا يستطيع أن يفهم حضارة ما حق الفهم من يجهل وسيلتها اللغوية في التعبير " (1).

و تبرز أهمية اللغة في فهم الثقافة على اعتبار هذه الأخيرة الخاصية التمييز به لمجتمع من المجتمعات المتباينة التي تؤسس المبادئ و قيم هذا المجتمع حيث يعرف ادوارد تايلور (\*) الثقافة فيقول : " هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل على المعرفة العقيدة ، الفن الأخلاق ، العادات و كل المقومات الأخرى التي يكسبها الإنسان كعضو في المجتمع " (2)

و اللغة وظيفتها نقل ذلك الكل المعقد و التعبير عنه بطرق و أساليب مختلفة تسمح بإيصاله وفق مقتضيات العصر و يعتبر بعض العلماء الثقافة ما هي إلا " معرفة مكتسبة اجتماعيا " (3)، فإذا كانت كذلك فإنها تعبر على الكيان الفكري للمجتمع و هذا ما أشار إليه هدمسون بقوله " فإذا كانت الثقافة نوعا من المعرفة ، فمعنى ذلك أنها لا توجد في رؤوس الناس " (4).

(1) - محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، (د،ط) ، دار النهضة للطباعة و النشر ، دت ، ص19.  
\* - ادوارد تايلور (1832-1917) انثر بولوجي انجليزي ، ساعدت دراساته على تحديد مجال الانثروبولوجيا ، كان أستاذ بجامعة اوكسفورد (1896-1909) ( أهمم بالثقافات الإنسانية فكانت أعماله في هذا المجال ، أهم كتبه في الثقافة البدائية (1871) و الانثروبولوجيا (1881) .

(2) - أحمد رأفت عبد الجواد : مبادئ علم الاجتماع (د ط) ، مكتبة النهضة ، القاهرة مصر ، دت ، ص 81.

(3) - هدمسون : علم الاجتماع اللغوي ، ترجمة محمود عياد ، ط2 ، عالم الكتب القاهرة ، ، 1990م ، ص120.

(4) - المرجع نفسه : ص123 .

و ما الثقافة إلا نتاج الفكر الإنساني المستمر و المنظور الذي يواكب أحداث عصره ، فالفكر يحدد الكيان الثقافي و الحضاري للجماعات و نافذة تطل من خلالها على التاريخ الإنساني ، فالفكر بإيجاز تعبير عن مجمل الأنشطة العقلية و المعاني و المعتقدات التي يحملها أفراد المجتمع داخل إطار محدد ، و ما أَلْفَاظُ اللُّغَةِ إلا رموز لمعاني ترجمها العقل الإنساني فأصبحت ما هي عليه في واقع الحياة اليومية من ممارسات اجتماعية وسلوكات تواصلية (1).

و قد بين "دو سوسير" علاقة اللغة بالفكر من خلال تعريفه للغة الذي ذهب فيه إلى أن " اللغة مجموعة من العلامات تعبر عن الأفكار " (2)، لقد وضع "دو سوسير" حقيقة وظيفة اللغة لنقل الفكر الفردي بصفته جزءا من الجماعة ، و نقل الكل المركب لهذه الجماعة الذي يتمثل في الثقافة .

فالثقافة و الفكر تجسيد الكينونة الاجتماعية و مجرياتها و أحوالها و تغيراتها و لا سبيل لنقل هذا الفكر و هذه الثقافة لإثبات هذا الوجود إلا اللغة التي تعبر عن الصلة الواضحة بينها و بين خصوصيات المجتمع الذي تحيا فيه " و لأن اللغة من خلق الفكر ولأنها خصيصا لتسيير التبادل المادي و الفكري مع المجتمع ، و لأن المجتمع دائم التطور فاللغة تساييره دائما التطور أيضا ، و هي صورة صادقة لحضارته ، فالمعجم اللغوي لأمة ما هو في نفس الوقت صورة مخلصمة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية و كيانها الاقتصادي و السياسي و سلوكها الديني و الأخلاقي و تقدمها العلمي و الفني " (3).

من خلال ما سبق فإن فضل اللغة على أفراد المجتمع الذي تحيا فيه لا يمكن نفيه لا من خلال الوظائف المميزة بين عناصره و لا من خلال الأجيال المتعاقبة ، و هذا ما أسس

(1) - حسن ظاذا : اللسان و الإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، ص122 .

(2) - نور الهدى لوشن : مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، (دط)، دار الفتح للجليد الفني ، 2008م ، ص175،176.

(3) - حسن ظاذا : اللسان و الإنسان ، ص93.

فندرس عليه أهمية اللغة في المجتمع فيقول : " في كل مجتمع مهما كانت طبيعته و حجمه تلعب اللغة دورا ذا أهمية أساسية إذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع و هي في الوقت نفسه رمز إلى حياتهم المشتركة و ضمان لها ، فهي تقف موقف الرابطة التي توجد بينهم فنكون العلامة التي بها يعرفون و النسب الذي إليه ينتسبون " (1) .

و قد لخص أولبرت وظائف اللغة داخل إطارها الاجتماعي الذي يؤسسها و يمارسها من خلال العمليات التواصلية من خلال كتابه " اللغة في إطارها الاجتماعي " و وصفها بالحقائق الآتية :

أولا : أنها تجعل للمعارف و الأفكار البشرية قيمة اجتماعية .

ثانيا : أنها تحفظ التراث الثقافي و التقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .

ثالثا : إنها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد تعينه على تكيف سلوكه و طبعه حتى يتلاءم هذا السلوك و تقاليد المجتمع و أعرافه و سلوكياته في الحياة .

رابعا : إنها تزود الفرد بأدوات التفكير ، و ما وصل المجتمع البشري البصير إلى ما هو عليه من تحضر و تقدم بدون التعاون الفكري لتنظيم حياته . (2)

## 05- أثر المجتمع في اللغة :

إنما تتفق حوله الدراسات اللغوية في:

- " إن دراسة اللغة من حيث الظروف الاجتماعية التي تؤدي فيها وظيفتها و التي يتطور فيها ، تدخل في مجال الدراسة العلمية للمجتمعات ، أي مجال علم الاجتماع العام" (3)

(1) - جوزيف فندريس : اللغة : تحقيق عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1950، ص84.

(2) - المرجع نفسه، ص61-62.

(3) - محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص69.

فيتولى هذا الأخير - علم الاجتماع - الكشف عن عملية التأثير بين اللغة و المجتمع كموضوع من مواضيعه العامة ، و يدرس الظواهر الاجتماعية و الممارسات الوظيفية من خلال السلوكات التي تخص الفرد و الجماعة " و يكاد يجمع علماء الاجتماع على أن موضوع العلم هو دراسة المجتمع في ظواهره و نظمه و بنيته و العلاقات بين أفراده دراسة علمية وصفية تحليلية ، الغرض منها الوصول إلى الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها هذه الظاهرة " (1)

فإذا كان هذا العلم يقوم على الوصف و التحليل لمجمل الظواهر و الممارسات الفردية داخل الجماعات و النظر في العلاقات التواصلية ، فاللغة هي الوسيلة التي يقوم من خلالها هذا الوصف و يكون بها التحليل فتعطي الصورة الواضحة لثقافة هذا المجتمع و فكره و يظهر ذلك التأثير الاجتماعي في الصياغات اللغوية و السلوكات و الممارسات اللفظية التي يستعملها مجتمع دون آخر ، باختلاف البنى التكوينية لهذا المجتمع و أنماطه الثقافية و خصوصياته و مبادئه و قيمه و إيديولوجياته ، و تتأثر اللغة بتأثير مباشر بالتفاعلات الاجتماعية ، و قد أشار إلى ذلك حلمي خليل مسبقا - في تعريفه للمجتمع - إلى العلاقة بين اللغة و المجتمع مبينا أن المجتمع بنية نسقيه للتفاعل القائم بين الممارسات الاجتماعية والجوانب الثقافية و اللغة أداة لتحقيق ذلك التفاعل و يوضح لنا حلمي خليل خصوصيته قوله " و لأن المجتمع من أحض صفاته انه لا يثبت حال فكذلك اللغة التي تسايره لا تثبت على حال هي الأخرى بل تتغير و قد تختلف باختلاف النظم الاجتماعية ، و لا شك أن الدين من أقوى العوامل و أعمقها أثرا في حياة اللغة " (2)

إن الإيمان بفكرة المسايرة بين اللغة و المجتمع ، و أن اللغة لا تثبت على حالها ما دامت تعيش في وسط دائم التغير و غير ثابت على حال أيضا ، يستدعي التوقف عند عنصر هو :

(1) - أحمد رأفت عبد الجواد : مبادئ علم الاجتماع ، ص23.

(2) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص201.

## 06- التطور اللغوي و صلته بالمجتمع :

و نعني بالتطور اللغوي " الجريان التاريخي و الطبيعي لعناصر اللغة هذا الكائن الحي الذي يخضع للتطور الدائم في حياته " (1) ، كما "يقول شلايشر" (\*) إن متابعة اللغة في سيرورتها التاريخية من حيث مستوياتها الصوتية و الدلالية و الصرفية و المعجمية تجدها تخضع لقانون التطور المستمر تبعاً للأطر الاجتماعية التي تعيش فيها و التي تخضع لنفس القانون " و لأن اللغة من خلق الفكر ، و لأنها خلقت خصيصاً لتيسير التبادل المادي والفكري مع المجتمع ، و لأن المجتمع دائم التطور فاللغة التي تسايره دائمة التطور أيضاً وهي صادقة لحضارته فالمعجم اللغوي لأمة ما هو نفس الوقت صورة مخصصة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية و كيانها الاقتصادي و السياسي و سلوكها الديني و الأخلاقي وتقدمها العلمي و الفني " (2)

و يوافق هذا الرأي العالم اللغوي الفرنسي "دار مستيثر" على حد قول "حسن ظاها " إن اللغة : أية لغة كانت و في فترة كانت وجودها في تطور دائم مستمر ، يتنازعها في تطورها هذا عاملان متناقضان تجاهد اللغة في الاحتفاظ بتوازنها بينهما ، و بمقدار احتفاظها بهذا التوازن يكتب لها طول العمر بين الناطقتين بها و هذان العاملان هما عامل المحافظة من ناحية ، و عامل التطور من ناحية أخرى " (3).

(1) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، ص 113.

\* - شلايشر (أوغست) (1821 . 1868) عالم لسانيات ألماني، ولد في مدينة مايننغن Meiningen، وتوفي في مدينة Jena في بروسيا. تأثر، حينما كان طالباً في جامعة توبنغن Tübingen، بفلسفة هيغل، ثم ما لبث أن تأثر بنظرية داروين. سعى إلى وضع نظرية لسانية أساسها المنطق العلمي تقوم على الربط بين نظرية هيغل في التاريخ ونظرية داروين في الاصطفاء الطبيعي. درّس بين عامي 1850 و 1857 فقه اللغة والدراسات المقارنة بين اليونانية واللاتينية في جامعة براغ، وانصب جل اهتمامه في تلك الفترة على دراسة اللغات السلافية.

(2) - حسن ظاها : اللسان و الإنسان ، ص 93.

(3) - حسن ظاها : اللسان و الإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، ص 93.

فأما عامل المحافظة فهو نابع من فكر المجتمع و معتقداته الذي يسعى إلى المحافظة على أصول المقومات الاجتماعية حيث ينطلق من فكرة أن هذا العامل " كان دائما كابحا للتطور اللغوي ، أنه ينطلق من فكرة أساسية و هي أن اللغة تراث قومي ، و قد يكون دينيا أيضا ، تقتضي الأمانة الحفاظ عليه كما كان على عهد السلف " (1)

و أما عامل التطور اللغوي و هو عامل يخضع للسيرورة الاجتماعية و ما تنطوي عليه من تحولات سارية على هذا المجتمع المتطور المنعكس على اللغة و يظهر ذلك في جوانب مختلفة منها : التطور في الجانب الدلالي ، الجانب التركيبي ، الصوتي و كذلك على الجانبين الصرفي و المعجمي .

#### 07- اللغة و التباين الاجتماعي :

يعبر التباين الاجتماعي عن الاختلاف المستوياتي بين أفراد الطبقة الاجتماعية الواحدة ، و من ذلك فإن أي مجتمع من المجتمعات يختلف قاموسه اللفظي و الدلالي الممارس بين الأفراد من جانب السلوك أو التعبير عن أفكارهم و حاجاتهم و يكون ذلك تبعا للثقافة الفردية أو تبعا للثقافة الجماعية " فالمعجم اللغوي لأمة ما هو في الوقت نفسه صورة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها الثقافية و سلوكها الديني و الأخلاقي و تقدمها العلمي فكل تغير يحدث في أي ناحية من نواحي الحياة يتردد صدها في اللغة ، بل يبدأ من اللغة ولذلك تعر اللغة أصدق سجل لتاريخ الشعوب " (2)، و من ثم فإن هذه التغييرات في جانبها اللغوي ما هي إلا أصداء الفكر البني الاجتماعية و ثقافتها ، و لأن المجتمع متباين الطبقات و متنوع كانت اللغة كذلك ، خاصة أنها أداة للتواصل و التخاطب و تلبية حاجات هذا المجتمع و رغبات أفراده فتختلف اللغة بين هذه الفئات بحسب مستوياتهم أثناء الممارسة الدلالية و حسب البيئة التي يقطنونها " إذ أن اللغة تتأثر بهذه المجتمعات و الفئات الضيقة

(1) - المرجع نفسه ، ص96.

(2) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 335.

الكائنة داخل المجتمع الواحد ، إذ تنتسب لغة المحادثة في البلد الواحد أو المنطقة الواحدة إلى مستويات لغوية متباينة تبعا لتباين و اختلاف طبقات و فئاتهم الاجتماعية ، مع دخول الزمن عاملا أساسيا في هذا الاختلاف " (1).

فلكل مجتمع تشكيلته الخاصة من حيث الجماعات و الطوائف التي تفصلهم فروقات من جوانب مختلفة ثقافية أو اقتصادية المعبر عنها بالطبقة (\*) ، و بحسب مهنتهم و في هذا يقول هادي نهر : " إن اللغة تتأثر بهذا المجتمعات الضيقة ، فتنسب لغة المحادثة في المنطقة السكانية المعنية إلى لهجات تبعا لاختلاف طبقات الناس و فئاتهم ، فتكون ثمة لهجة للمتعلمين تختلف عن لهجة الأميين ، و المتعلمون يختلفون لهجة فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم و باختلاف مهنتهم ، و باختلاف درجة ثرائهم و سوى ذلك من الأسباب و لهجة أخرى للطبقة الوسطى و لهجات الجنود و للرياضيين و للنجارين و للبحارة و لذا المهنة جميعا " (2).

فمن هذا فإن الصياغة اللغوية هي صورة للبنية الفكرية النابعة من الظروف الاجتماعية لمختلف الفئات المكونة لها ، حيث تتنوع بتنوع إيديولوجية كل فرد أو طبقة .

فاللغة بخصائصها و وظائفها لا تظهر إلا داخل الإطار الاجتماعي الذي يحتضنها و يؤسسها و يكسبها قيمتها الدلالية و يدعم جوهرها الثابت وفقا لتقلبات المجتمع و تطوراتها و في هذا الصدد تقول نور الهدى لوشن : " إن اللغة مؤسسة اجتماعية ، أنها تكسب قيمتها من المجتمع و إن الاستعمال و العرف الاجتماعي هما اللذان يحددان معانيها و يطوران منها ما يطورانه وفقا لحاجات المجتمع الواحد في العصر الواحد " (3)

(1) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، ص 166.

\* - الطبقة : مفهوم يشير إلى مجموعة من الناس تشترك في نفس الموقف الاقتصادي .

(2) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص 166-167 .

(3) - نور الهدى لوشن : مباحث في علم اللغة و مناهج البحث العلمي ، ص 184 .

مما سبق لا يمكن تجاهل العلاقة القائمة بين اللغة و المجتمع و تأثير هذا الأخير في اللغة حيث " إن اللغة لا تنشأ إلا في مجتمع " ، > و أن اللغة لا تستعمل إلا في مجتمع <، > و إن الكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد في العصر الواحد <، > و إن لكل لغة من اللغات نظمها الصوتية و النحوية < (1).

إذا كانت اللغة لا تنشأ إلا في مجتمع و لا تكتسب قيمتها إلا في ذلك المجتمع ، وأن المجتمع بمستوياته و تكويناته لا يتم التعبير عنه إلا عن طريق اللغة ، فهل هذه الفاعلية تعني أن البنية اللغوية تتفق مع البنية الاجتماعية إلى حد ما ؟

### 08- البنية اللغوية و البنية الاجتماعية :

إن تتبع مدى اتفاق البنية اللغوية مع البنية الاجتماعية يتم وفق الخصائص المميزة للبنى الاجتماعية من جوانبها المختلفة التي تعبر عن فكر و إيديولوجية هذا المجتمع و التي ينعكس صداها على البنى اللغوية سواء في جانبها المادي أو المعنوي ، و يكمن ذلك في الظواهر المختلفة للجانب الثقافي و الحضاري لهذا المجتمع و جوانب أخرى من هذا المجتمع .

### 8-1- اللغة و القومية :

و يقصد بالقومية هنا اعتزاز أي أمة من الأمم بلغتها كأساس لكيانها الفكري والثقافي و المحافظة على أصولها ، من كل دخيل أو منافس لها ، و بالتالي تكون هذه اللغة هي التعبير الوافي للخطابات الدينية أو السياسية بحسب مقتضيات هذه الأمة و التمثيل الواقعي للبنية الاجتماعية ، فيقول " فرانس بواز " (\*) " عن الوظيفة التي تؤديها اللغة فيما يتعلق بالقومية وظيفة من جانب كبر من الأهمية ، فكل أمة تعتز بلغتها و تريد لها الحياة ، وتبدو

(1) - محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص13.

\* - فرانس بواز : عالم أمريكي ( 185-1942 ) اهتم بالدراسات الانتربولوجيا إيماناً منه أنه لا يمكن فهم مجتمع ما إلا من خلال ثقافته و لا يمكن فهم ثقافته إلا من خلال لغته ، أهتم بدراسة اللغات له كتاب " دليل اللغات الهندية الأمريكية " .



أهمية هذه الوظيفة في ألوان الصراع الذي ينشب بين الأمم ، فبعض الأمم المستعمرة تفرض على الأمم المحتلة أن تكون لغاتها - أي لغات الغاضبين - هي لغة التعليم في المدارس وهي اللغة الرسمية في الخطابات الحكومية ..... " (1).

و ما الصراع القائم بين الأمم و التعدي على خصوصياتها من جانبها اللغوي هدفه إلا إلغاء الكيان الفكري لهذا المجتمع و تحطيم البنية الاجتماعية من خلال بنيتها اللغوية .

### 8-2- اللغة و السياسة :

فالساسة وجه من وجوه الحياة الاجتماعية تعبر عن تقلبات و وضعيات من مناحي حياة الأفراد و الجماعات " وما المصطلحات و التعبيرات التي يصطنعها كل نظام من الأنظمة السياسية المختلفة دعاية لنفسه و تثبيتا لحكمه " (2) .

و من المفترض أن المصطلحات و التعابير و الخطابات المستعملة في القضايا السياسية ما هي إلا صور إيديولوجية للوضعيات و الممارسات السياسية داخل المجتمع الواحد و إيديولوجية ففي عالم الفكر الاشتراكي يقول كارل ماركس : " اللغة هي الواقع المباشر للفكر " (3) .

### 8-3- اللغة و الاقتصاد :

فالحياة الاقتصادية بمستوياتها و تنوعات نشاطاتها داخل المجتمع الواحد لها صياغات لغوية تختص بها كالبيع و الشراء و الصناعة و الإنتاج و التفاوت الطبقي والممارسات الحرفية و غيرها التي توحى بالوضعيات الاقتصادية و الحضارية لمجتمع معين و التعبير عن هذه الممارسات لا يتم إلا عن طريق اللغة فمن خلال هذه المصطلحات والتعبير يتمكن الباحث من الكشف و تتبع الوضعيات الاجتماعية من مناحي مختلفة لأية

(1) - محمود السعران : اللغة و المجتمع رأي و منهج ، ط2 ، المطبعة الأهلية بينغازي ليبيا ، 1963 ، ص71.

(2) - محمود السعران : اللغة و المجتمع رأي و منهج ، ص 84.

(3) - حسن ظاظا : اللسان و الإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، ص69.

أمة من الأمم و دراسة البنى الاجتماعية " فالنظم الاقتصادية في الإنتاج و التوزيع والاستهلاك ، و الظواهر الاقتصادية السابقة ما هي إلا ظواهر اجتماعية ( علم الاجتماع الاقتصادي " (1)

#### 8-4- اللغة و الدين :

" يعتبر الدين من أقوى وسائل الضبط في المجتمعات و هو من الوسائل الرسمية ذات التأثير العميق و المحدد للسلوك في تلك المجتمعات التي تطبق شرائع دينها " (2)

فالدين بالنسبة للجماعة " هو النموذج اللغوي الواعي المقدس " (3) الذي لا يراوغ و لا يمكن صياغة المثل له كما يعتبر أقوى الروابط الإنسانية و الاجتماعية ، يوحى بالعقيدة التي يعتنقها الجماعة و لا يظهر ذلك إلا في السلوكات الجماعية و اللغوية " فمن صور أنواع الوظائف الكلامية التي نجد فيها نقلا للأفكار أو شيئاً يمكن أن ينقل ، كثير من صور استعمال اللغة فيما يسمى بالسلوك الجماعي ، فاصطناع اللغة في الاجتماعات الدينية كالصلاة و الدعاء و مخاطبة الله أو المعبود ، أو أية كائنات أخرى مقدسة أبعد من أن يعد نقلا للفكر " (4) .

من خلال تتبع ظاهرة العلاقة بين اللغة و المجتمع ، و استقرارها لا يمكن إخفاء هذه الحقيقة أو تجاهل الانعكاس المتبادل بينهما أي بين البنى اللغوية و البنى الاجتماعية ، كما أنه ليس من المنطق أن نطلق حكماً مطلقاً على تطابقهما ، و أن اللغة مرآة عاكسة للمجتمع.

(1) - أحمد رأفت عبد الجواد ، مبادئ علم الاجتماع ، ص132.

(2) - المرجع نفسه ، ص 110.

(3) - محمود السعمران : اللغة و المجتمع رأي و منهج ، ص109.

(4) - المرجع نفسه ، ص17.

يمكن إلى حد ما لكن ليس كلية ، و تفند هذه الفكرة نور الهدى لوشن بقولها : " ليس التطابق بين البنى اللغوية و بين بنى المجتمع أمرا ضروريا ففي العالم لغات كثيرة تتقارب من حيث البنية تستعملها مجتمعات لا توجد بين بناها أية قرابة و العكس صحيح ، أيضا أن تستعمل مجتمعات تتقارب من حيث البنية لغات تختلف كل الاختلاف " (1) و تضيف قائلة " و من أسباب عدم تطابق بين البنية اللغوية و البنية الاجتماعية أن لكل من اللغة و المجتمع سبيلا في التطور ، فالمجتمع أسرع تطورا من اللغة ، فقد يأتي التطور العميق على بنى المجتمع فيغيرها و تظل لغة المجتمع مع ذلك على حالها ، أو هي تتطور تطور بطيئا يؤثر في بنيتها " (2)

و في ذلك على سبيل المثل الواقع الروسي حيث " يضرب ستالين مثلا لتأكيد رأيه إذ يرى أن المجتمع الروسي و اللغة الروسية قد عرفا أوائل القرن العشرين نظاما جديدا في الحياة استبدلت في ضوءه المؤسسات السياسية و الحقوقية و غيرها من المؤسسات بمؤسسات جديدة بيد أنه على الرغم من ذلك ظلت اللغة الروسية من حيث الأساس كما كانت " (3)

و خلاصة القول أن حقيقة التفاعل بين البنى اللغوية و البنى الاجتماعية أثبتتها الحقائق العلمية للدراسات اللغوية و الاجتماعية الحديثة و قد اهتم العلماء المختصون باكتشاف هذا التأثير المتبادل بين البيتين و التعمق في مختلف القضايا التي تجمع بينهما على حد قول رائد اللسانيات الحديثة دوسوسير بأن " اللسان هو الجزء الاجتماعي من اللغة" (4) ، و قوله أيضا " اللسان هو مؤسسة اجتماعية " (5) و يؤيد هذا الرأي "أنطوان ميه"

(1) - نور الهدى لوشن : مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، ص 188.

(2) - المرجع نفسه : ص 188.

(3) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص 41-42

(4) - فارديناند دي سوسير : محاضرات في الألسنية العام ، ترجمة يوسف غازي ، مجيد النصر، (دط) ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1986 ، ص 31 ، 32.

(5) - المرجع نفسه ، ص 27.

(\* قوله : " لما كان اللسان ظاهرة اجتماعية فإنه يترتب عن ذلك أن اللسانيات علم اجتماعي وأن العامل الوحيد المتغير الذي يمكننا الالتجاء إليه لإبانة عن التعبير إنما هو التغير الاجتماعي "

لقد رأينا أن اللغات تتأثر بتتبع المواقف المختلفة التي تطرأ على المجتمع سياسيا اقتصاديا ، دينيا ...، كما أنها لا تحي إلا داخل الإطار الاجتماعي لنقل أفكار أفرادهم و فهم ثقافتهم التواصلية و التعبير عن الكينونة الحضارية .

غير أن المجتمع بتباينه و اختلاف طبقاته له تأثيره الواضح في البنى اللغوية وتطوراتها ، و انعكاس هذا التطور على القاموس اللغوي حسب مقتضيات حاجات أفرادهم ومقتضيات العصر الذي تسري فيه .

و هذا ما ينص عليه اهتمام العلم الحديث المختص في ذلك و المتمثل في " علم الاجتماع اللغوي sociologie of linguistique و يسمى أيضا بـ ( علم اللغة الاجتماعي ) sociolinguistique " (1) و هو ما سنتناوله في الفصل الثاني من هذا البحث.

\*-أنطوان ميهيه ( 1886-1936 ) من تلاميذ فارديناند سوسير و هو أستاذ و مدير معهد الدراسات العليا بباريس و رئيس جمعية علم اللغة بباريس كتب أكثر من عشرين مجلد ضخما في مختلف بحوث علم اللغة منها علم اللغة التاريخي و علم اللغة العام " اللغات الهندية الأوروبية " لغات العالم " و قد اشترك مع العلامة ديور كايم في إصدار " التقويم الاجتماعي " و هي مجلة أوروبية في علم الاجتماع في العصر الحديث ، انظر علم اللغة علي عبد الواحد وافي ، ص67. (1)- هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص46.

# الفصل الثاني

## علم الاجتماع اللغوي

1. مفهوم علم الاجتماع اللغوي
2. نشأته
3. بين علم اللغة الاجتماعي و علم الاجتماع اللغوي
4. علم الاجتماع اللغوي و علاقته ببعض العلم
5. مجالاته
6. موضوعه
7. أهميته

## 01- علم الاجتماع اللغوي :

يمكن تحديد مفهوم علم الاجتماع اللغوي من خلال الدراسات العلمية التي أقامها علماء اللغة و علماء الاجتماع بالاهتمام إلى الصلة القائمة بين اللغة و المجتمع حيث إن اللغة هي الأداة المثلى للكشف عن الأنماط الثقافية و الفكرية للمجتمعات ، و اللغة وسيلة لتحقيق التفاعل التواصلي و التعبير عما يختلج في النفس و نافذة نتصفح من خلالها تاريخ الإنسان و نمط معيشته " ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته و حجمه تلعب اللغة دورا ذا أهمية أساسية باعتبارها أقوى الروابط بين أعضاء ذلك المجتمع و هي في الوقت نفسه رمز لحيواتهم المشتركة و ضمان لها " (1) ، فاللغة دليل يتوصل به الباحث إلى معرفة خصوصيات المجتمع و استقرار حركيته و ارتباطاته الداخلية و التعرف على نشاطاتهم الثقافية و الفكرية فمن ذلك يقول هادي نهر " لا يمكن فهم اللغة و قوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان و المكان المعينين ، لن فيها من الإنسان فكره و طرائقه الذهنية و فيها من العالم الخارجي تنوعه و ألوانه " (2) .

فعلم الاجتماع اللغوي يعد من أهم العلوم التي أحدثتها الدراسات اللسانية الحديثة التي تبحث في القضايا اللغوية الاجتماعية و الفصل في القضايا السيسولوجية آخذا في الاعتبار دراسة اللغة كنظام لا يمكن فصله عن الأنظمة الاجتماعية من جهة و يبحث في السيرورة الاجتماعية من تطوراتها من جوانبها المختلفة الثقافية و الحضارية و الفكرية ومدى التفاعل بينهما من جهة أخرى ، فيعرفه هديسون فيقول " من الممكن تعريف علم اللغة الاجتماعي على انه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع " (3) ، إذ أن الارتباط القائم بين اللغة و الإنسان

(1) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص 19.

(2) - المرجع نفسه ، ص 18.

(3) - هديسون : علم اللغة الاجتماعي ، ص 12.

يحتم على العلم البحث و الكشف عن خصوصيات المجتمع الفكرية و الثقافية و أن يعود إلى اللغة بمستوياتها " فاللغة إحدى أهم وسائل نشاطنا العلمي و الفكري والاجتماعي"(1).

فمن هذا فقد اختص علم الاجتماع اللغوي و تشعبت اتجاهاته في دراسة تاريخ الحضارات الإنسانية و عاداتهم و تقاليدهم و تعابيرهم و الفصل في مواضيع شتى كدراسة الكلام من حيث أنه أصوات و رموز و تتبع قوانين التطور في اللغة ، و التباين اللغوي ومظاهره حيث يعرف حلمي خليل علم اللغة الاجتماعي فيقول : " هو علم يدرس اللهجات الاجتماعية أو الطباقية في أي مجتمع و دراستها على المستويات الاجتماعية المختلفة كما يدرس أيضا مشكلات الأزواج اللغوي مثل الفصحى و العامية و بصورة عامة يدرس التأثير المتبادل بين اللغة و المجتمع " (2) ، و يعرفه هادي نهر حيث يقول : " هذا العلم بمعناه الواسع يعني أيضا بدراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة من معان اجتماعية و ثقافية مألوفة و غير مألوفة و يشمل أيضا كل ما يتعلق بالعلائق بين اللغة و المجتمع مدخلا في الاعتبار كل الميادين التي تعثر عليها مع علم الأعراف البشرية Ethnology الذي يدرس اللغة لا لذاتها و غنما باعتبارها تعبيراً عن سلاله معنية عن شعب و عن حضارة " (3)

قسم هرسون علم اللغة الاجتماعي إلى جزأين حيث يعني الأول بالجانب التطبيقي ما أسماه بالاسبريقي - و اما الثاني بالجانب النظري .

" أ - الجزء الامبريقي الاختباري : الجزء الخاص بالخروج إلى الميدان لجمع المادة العلمية .

(1) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص180.

(2) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص11.

(3) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص 24.

ب- الجزء الثاني : الجزء الخاص بالخلو إلى هذه الحقائق المجتمعة و التفكير فيها وتمحيصها " (1)

و كما وضع هدسون المنهج النظري في دراسة علم اللغة الاجتماعي الذي اصطلح عليه " الجلوس و التفكير المتريث " و يسمح ذلك المنهج على وجه الخصوص بتكوين بدايات إطار تحليلي يشمل مجموعة من المصطلحات مثل اللغة langage و هي مجموعة من القواعد أو نسق من المعرفة ، و الكلام Speech ( و هو العبارات الفعلية ) و المتحدث speaker و المخاطب ( المتلقي ) Adresse و موضوع الخطاب " (2)

و لفهم الثقافة الاجتماعية يبحث علم اللغة الاجتماعي في النصوص اللغوية المتنوعة التي تتراوح بين الفنون و العلوم و الآثار و غيرها من النصوص " فالمتطلع على تاريخ الفكر العربي الجاهلي أو الإسلامي لا يجد إلا نصوص أدبية ( شعر و نثر ) أو النصوص الدينية" كانت رمز النمط حياتهم و انتماءاتهم و عاداتهم و أعرافهم و اعتقاداتهم الروحية والدينية و من ذلك قوله تعالى : " و أن تستقسموا بالأزلام(\*) " (3) و هذا النص الديني يفصح عن الاعتقادات السائدة في المجتمعات ما قبل الإسلام و بالتالي فهو يعبر عن مختلف الممارسات الاجتماعية التي بدورها تفصح عن فكر هذا المجتمع و ثقافته و عن أساليب معيشته .

(1) - هدسون : علم اللغة الاجتماعي : ص 12.

(2) - هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، ص 13.

\* - الأزلام جمع ( زلم ) و هو قطع من الخشب مسواة تصلح أن تكون سهما و كان العرب في الجاهلية يقتربون بالأزلام يكتب على إحداها أمرني ربي و على الثاني : نهاني ربي و يكون الثالث غفلا لا كتابة عليه ، فإذا خرج ما عليه الأمر فعلوا و إذا خرج ما عليه النهي امتنعوا و إذا خرج الغفل أجالوا المزلام مرة أخرى أنظر هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ص 20.

(3) - سورة المائدة : الآية 3.



و منه قول امرئ القيس في معلقته (1) :

ترى بعرا الأرام في عرصاتهما و قيطانها كأنه حب فلفل

فهذا النص الشعري صورة رمزية للبيئة الاجتماعية التي كان يعيشها الشاعر آن ذاك ، صحراء و حيوانات. و منه فلغة الشعر أبلغ و أفصح أن نطل من خلالها على تاريخ الأجيال و نكتشف مساراتهم .

و هذا المنتبى يعبر عن نفسه المتألّمة إثر الأوضاع (2) :

ضاق صدري و طال في طلب الرز ق قيامي و قل عنه قعودي

أبدا أقطع البلاد و نـجمي في نحوس و همي و سعوري

و هي صدى الأوضاع السياسية و الاجتماعية في العصر العباسي " فهذه النصوص و غيرها تشير إلى صلب الحضارة العربية و مظاهر السلوك الاجتماعي بل إنها أصل لكل أنواع النشاط الحضاري " (3) ، و من ذلك فهي " أقرب الأدلة و أقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأي مجتمع " (4) .

و مما لا شك فيه " أن المجتمع من جهة كونه مجتمعا له حياته الخاصة التي تشمل حياة الأفراد و تتجاوزها و تكسبها ثراء فحاجاته المعنية تعلن عن نفسها بأوضاع ضرورية يتضامن فيها الأفراد ، و إن اختلفوا فيما بينهم فالجماعة و الأمة لها طابعها الخاص الذي يطبع الأفراد بوجوه مقررة من التشابه - طابع الأمة - و من باب أولى السمات الخاصة بوحدة من تلك الجماعات الثانوية التي تتمتع بحظ ما من الدوام و التي توجد داخل الأمة ينعكس على اللغة " (5)

(1) - ضياء غني لفته العبودي : معلقة امرئ القيس في دراسات القدامى و المحدثين ، ط1 ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2011 ، ص51.

(2) - عبد الفتاح نافع : الشعر العباسي ، قضايا و ظواهر ، ط1 ، دار جبرير للنشر و التوزيع ، 2008 ، ص202.

(3) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي : ص21.

(4) - تمام حسان : اللغة بين المعيارية و الوصفية نقلا عن عن هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص21.

(5) - جوزيف ، فندريس : اللغة ، تحقيق عبد الحميد دواخلي ، محمد القصاص مكتبة الانجلو مصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، 1950 ، ص11.

## 02- نشأة علم الاجتماع اللغوي :

إن نشأة علم الاجتماع اللغوي كمصطلح و كتسمية لعلم من العلوم الحديثة ، برزت تجليات واضحة في القرن التاسع عشر على اثر الدراسات اللغوية السوسيرية و الدوركايمية و لكن النظر من حيث الماهية و من حيث الموضوع فهي وليد البحوث الأولية للغة و العصور القديمة و علاقاتها بالشعوب المستعملة داخل أطرها المختلفة إذ " أن النظر في اللغة قديم جدا يرجع إلى وقت أن أخذت الجماعات البشرية في الكلام ثم دق نسبيا بعد نشأة الكتابة ، و لكن الدراسة العلمية حقا للغة جد حديثا و تصورات البشر عن اللغة آخذة من نوع مجتمعهم ، و تراثهم الثقافي و خاصة من دينهم " (1).

فمن الطبيعي أن يتساءل كل جيل و كل سلالة عن أصول و منشأ لغتهم و علاقاتها بالشعوب المستعملة لها من الهنود الذين اهتموا " بوصف القوانين الصوتية و النحوية للغة السنسكريتية وصفا يبلغ درجة كبيرة من الدقة إلى اليونانيين الذين (2) " كانت نظرتهم ميتافيزيقية " (3) ، و أقاموا عدة تساؤلات حول ماهية اللغة من الدقة " ، و أصلها و علاقاتها إلى أن توصلوا " وسلموا بأن بنية لغتهم تجسم الصور العامة للتفكير الإنساني أو ربما تجسم الصور العامة للنظام الكوني بأسره " (4).

لقد اهتم العرب بالدراسات اللغوية لما لها أهمية في خدمة الجانب الديني ، إذ يقول محمود السعمران " و نشأت الدراسات اللغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم " .

و بدأت التساؤلات تتبلور في البحث في مسألة اللغة أهي التوقيف أم إصلاح دليل على ارتباط الفكر الإنساني باللغة ، و أن هذه الأخيرة نتاج الفكر الإنساني و التأليف الاجتماعي و قد خصص ابن فارس في كتابه الصاحي في فقه اللغة العربية و مسائلها بابا

(1) - محمود السعمران : علم اللغة للقارئ العربي ، ص317.

(2) - المرجع نفسه ، ص318.

(3) - المرجع نفسه ، ص319.

(4) - المرجع نفسه ، ص331.

سماه " باب القول على لغة العرب أتوقيف أم إصلاح " و فيه عالج تساؤلات العلماء حول أصول اللغة و نشأتها أهي من وحي إلهي أم تأسيس اجتماعي .

و التفت حسن ظاظا إلى هذا الموضوع مشيرا بقوله " و نجد الطبري في تاريخه وتفسيره يذكر شتى الأقوال في ذلك فيقول : مثلا ( حدثنا كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : علم الله تعالى آدم الأسماء كلها و هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان و دابة وأرض و سهل و بحر ، و جبل ، و حمار و أشباه ذلك من الأمم و غيرها " (1) ، و راح ابن جني يتسوق حول هذه القضية رأي آخر إذ يقول حسن ظاظا " و ذهب ابن جني إلى أن اللغة اصطلاح إذ يقول : هذا موضع محوج إلى فضل تأمل ، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع و اصطلاح لا وحي و توقيف " (2).

و ظلت الدراسات في البحث في أصول اللغة قائمة بمنطلقات مختلفة تبحث في منشأها و علاقاتها في تطور مستمر وفق تأملات و افتراضات لمعطيات مختلفة ، دون الخروج عن حقيقة و منطق أن اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تبحث في الفكر الإنساني وعلاقته باللغة و " مظاهر من النشاط الفكري الإرادي للبشر ، يصنعونها و يستعملونها ويطورونها حسب حاجاتهم في مختلف الأزمنة و الأمكنة " (3) .

و لعل " اتصال البحث اللغوي بعلم المجتمع يعود إلى السؤال الذي طرحه الفلاسفة و المفكرون في القرن الثامن عشر عن العلاقة بين اللغة و الشعب الذي يتكلم بها " (4) ومن هؤلاء ( يوهان توغيرد ) و ( هلدنر ) و ( جينس ) " فقد رأى ( هلدنر ) أن اللغة ذات شكل داخلي خاص و هي منظمة للعالم الخارجي للجماعة الناطقة ، و إن مفهوم الجماعة اللغوية

(1) - حسن ظاظا : اللسان و الإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، ص49.

(2) - المرجع نفسه ، ص51.

(3) - المرجع نفسه ، ص63.

(4) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ص27.

يتضمن عنده مفهوم الأمة " ، كما " نشر جينس 1792 كتابه المرسوم بـ ( المقارنة بين اللغات ) مع تقويم فلسفي و نقدي لأربع عشرة لغة قديمة و حديثة ليثبت أن طبيعة الإنسان الفكرية و الأخلاقية كاملة في اللغة على نحو ما " (1).

و قد سعى الفلاسفة و المفكرون إلى البحث في قضية الرابط بين اللغة و المجتمع بدراساتهم الفذة و محاولاتهم الواسعة من ذلك بلورة الأفكار و وصولها إلى أوجها " و كان على رأس هؤلاء " كوندياك " سواء في بحثه المرسوم بـ ( نشأة الأحاسيس 1754 أم في بحثه المرسوم بـ ( أصل المعارف الإنسانية عام 1746 ) أم في بحثه المرسوم بـ ( المذاهب الفلسفية " (2).

امتدت هذه الآراء و هذه الأبحاث حتى القرن التاسع عشر و اتسعت مجالات البحث في الدراسات اللغوية و علاقاتها بالمجتمع .

و ارتقت طريقة الدراسة في هذه الشعبة إلى " ترمي بيان العلامة بين اللغة و الحياة الاجتماعية و أثر المجتمع و حضارته و نظمه و تاريخه و تركيبه و بينته في مختلف الظواهر اللغوية " (3).

و تطورت الأبحاث في دراسة " اللهجات الشعبية و اللغات العامية على يد " جاستون باريس Gastin paris " و هو أول فرنسي نادى بوجوب دراسة اللهجات الشعبية و اللغات العامية و قد أنشأ بمعهد الدراسات العالية بفرنسا écoles pratique des hautes études قسما خاصا لهذه الشعبية و اليه مرجع الفضل في تمهيد الطريق لدراسة كثير من اللغات الشعبية الفرنسية " (4).

(1) - جورج مونين : تاريخ اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين نقلا عن هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، ص 27.

(2) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، 27-28.

(3) - علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ص 66.

(4) - المرجع نفسه ، ص 61-62 .

و اتسعت آفاق الأبحاث اللغوية و علاقاتها بمختلف العلوم إلى نهاية القرن التاسع عشر مع رائد اللسانيات الحديثة سوسير حيث " يعد دوسوسير ( 1857- 1913 ) مؤسس المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية " (1) ، الذي يرى " أن اللسان مؤسسة اجتماعية " (2)، و قد استمد فكرته هذه من الرؤى الفكرية الاجتماعية لعالم الاجتماع إميل دوركايم و هذا ما يشير إليه محمود السعران بقوله : " بنى دي سوسير نظريته الاجتماعية في اللغة على أساس نظرية دور كايم الاجتماعية ، و دور كايم ما يسميه " نشاط الجماعة " أو " النشاط الجماعي " مستقلا عن أي فرد من الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع " (3).

و تعتبر "المدرسة الفرنسية الاجتماعية التي أنشأها العلامة دور كايم في أوائل القرن الحاضر وظائفة من أئمة علماء اللغة انضمت إلى هذه المدرسة و اعتنقت مذهبها من أشهرهم " دورسوسير " و مييه " و فندريس " (4).

و لقد كان الفضل للعديد من اللسانيين في الدراسة الاجتماعية للغة حيث " بين أنطوان مييه ( 1886- 1936 ) في العديد من النصوص الطابع الاجتماعي لغة أو بالأحرى قد حددها بوصفها ظاهرة اجتماعية (5).

و كان ذلك " في مقال نشره بعنوان " كيف تغير الكلمات معانيها " ما اللغة والمتغيرات اللسانية من أجل تداخل الطبقات الاجتماعية ، وضح الطريقة التي تعمل بمقتضاها الوقائع اللسانية و التاريخية و الاجتماعية في تغير المعاني " (6)

(1) - محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص 300 .

(2) - فارديناند دو سوسير : (محاضرات في الألسنية العامة )، ص 27 .

(3) - محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص 301 .

(4) - علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ، ص 66 .

(5) - المرجع نفسه ، ص 67 .

(6) - لطفي بوقرية : محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، المركز الجامعي بشار ، الجزائر 2003، ص 3 .

و رغم ما اشتملت عليه نظرية "مبيه" من أهمية الطرح التي " يلح في بحوثه اللسانية على الصلة الموجودة بين اللغة و المجتمع " ، الا أنها لم تحظ بالاهتمام من طرف علماء اللسانيين " و ظلت مهمة طيلة سنوات حتى ظهر علماء اللسانيات الماركيسي و علماء اللسانيات الاجتماعيين الأمريكيين " (1)

عمل "ماركس" و "فريديريك انجلز" على بلورة الفكرة اللسانية الاجتماعية لكن لم تتضح بشكل واضح و ذلك لأنهم أهملوا ، و تمركزت أبحاث اللسانيين فيما بعد على دراسات " نيكولاي مار " Nikolai marr (1865-1934) " أبرز " مار " أن الطبقات الاجتماعية أثرا ظاهرا على اللغة أشار إلى العامل الفرنسي و العلم الألماني ، و على الرغم من اختلاف هويتهما الوطنية فإن وضعهما الطبقي الواحد يجعلهما يشتركان في خواص لغوية مشتركة مغايرة لخواص لغة أفراد الطبقة الرأسمالية " (2) .

و في الوقت فقد " سعي العالم الفرنسي " مارسيل كوهن " cohen Marcel (1884-1974) على إظهار فكرة اجتماعية اللغة كما يظهر ذلك في كتابه " أدوات من أجل اجتماع لغوي " « materiaiaux pour une socialioque du langage » الصادر عام 1956 ، و أخذت هذه الفكرة " اجتماعية اللغة " بالاعتبار مع علماء آخرين و خاصة في الولايات المتحدة مع " دال هايمز " Delle hymes و جون كانبير John Gumpers و غيرهم إلى أن اتضحت نشأة اللسانيات الاجتماعية مع العالم الأمريكي " وليام لايوف " فيقول لطفي بوقرية : " و كانت الخطوة الحاسمة من الناحية النظرية و المنهجية في نشأة اللسانيات الاجتماعية هي أبحاث اللساني الأمريكي " و ليام لابوف William labov المولود 1929 بدأ لابوف حياته العلمية البنيوية ثم تدرج باتجاه النحو التوليدي ، و قد وضح أثناء

(1) - لطفي بوقرية ، (محاضرات في اللسانيات الاجتماعية) ، ص4.

(2) - المرجع نفسه ، ص5.

ذلك إجراءات و قواعد للدراسة الميدانية و التي أتبعها في تحليل المتغيرات الصوتية والمتغيرات الاجتماعية " (1)

يمكن أن نقول " لقد اجتهد علماء اللغة من أمثال سوسير وميية ،وفندريس ،وفيرث ،وهاليداي و مالينوفسكي ،ويسبرسن ،وفلمور ،وفرابوار وهاريس ،وكاردنر وغيرهم على إنشاء فرع جديد من فروع علم اللغة أخذت أصوله تتضح تستقر في السنوات الأخيرة، وتشتغل أذهان الباحثين تفكيرهم بالدراسة والبحث ،أطلق على هذا الفرع (علم اللغة الاجتماعي ) أو علم الاجتماع اللغوي ، وتطمح أصحاب هذا العلم إلى اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي ،وتطمح مستشهد في إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي ،ومن ثم توضيح اللغة في الحياة الإنسانية" (2) .

### 03- علم الاجتماع اللغوي و اللسانيات الاجتماعية:

بعد الفصل في مفهوم علم الاجتماع اللغوي و نشأته كعلم من العلوم الاجتماعية واللغوية الحديثة كان لزاما أن نتناول هذا المفهوم الاصطلاحي و مدى تعديه إلى مصطلحات مختلفة مرادفة لمعناه ، حتى يتيسر الفهم عند قراءة بعض التسميات التي تصادفنا في هذا البحث " فإذا كانت اللسانيات الاجتماعية تدرس العلاقات القائمة بين اللغة و الأفراد من جهة ، و بينهما و بين المعطيات الاجتماعية ، كأن تدرس العلاقة ما بين اختيار الفرد لنمط محدد من الاتصال و الوضعيات الاجتماعية التي يوجد فيها الفرد " (3) فإن "علم اجتماع اللغة هو أيضا مهم بالنسبة لمن يدرس الجماعات الصغيرة كما هو كذلك بالنسبة لمن يعنى بالاندماج القومي و الدولي يجب عليه ( أي علم اجتماع اللغة ) أن يوضح الانتقال من وضع الاحتكاك المباشر إلى آخر ، كما يجب أن يبين القنوات

(1) - المرجع نفسه ، ص5.

(2) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، ص24.

(3) - لطي بوقرية : (محاضرات في اللسانيات الاجتماعية) ، ص3.

المختلفة و السلوكات المتنوعة فيما يتعلق بلغة الرمز برمتها أو طبقات كاملة من المجتمع<sup>(1)</sup> .

و من ذلك فالمتفحص لهذين المفهومين يجد أنهما وجهان لعملة واحدة و ان علم الاجتماع اللغوي لا يختلف في معناه الاصطلاحي عن اللسانيات الاجتماعية ، كما أنه لا يختلف عن علم اللغة الاجتماعي و الذي أشار إليه هادي نهر في قوله " علم اللغة الاجتماعي sociolinguistique و يسمى أيضا بـ ( علم الاجتماع اللغوي ) <sup>(2)</sup>، و تعددت مرادفات اللسانيات الاجتماعية أشار إليها لطفي بوقرية قائلا : " و مرادفات اللسانيات الاجتماعية كثيرة في العلوم الإنسانية منها :

- اللسانية الاجتماعية sociolinguistique

- اللسانية الانسانية linguistique anthropologie

- اجتماعيات اللغة sociologie du langage

- الجغرافيا اللسانية<sup>(3)</sup>

### 03-01- علم اللغة الاجتماعي و علم الاجتماع اللغوي :

ميز هيدسون بين علم اللغة الاجتماعي و علم الاجتماع اللغوي و هو أن علم اللغة الاجتماعي - كما سبق تعريفه - أخص بدراسة اللغة و علاقتها بالمجتمع بينما يعرف علم الاجتماع اللغوي على أنه " دراسة المجتمع في علاقته باللغة "<sup>(4)</sup> و أما نقطة اختلاف العلمين تكمن كما حدده هيدسون بقوله " و الاختلاف بين : " علم اللغة الاجتماعي " و علم

(1) - لويس جان كالفي : علم الاجتماع اللغوي ، ترجمة محمد يحياتن ، دط ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص106-107.

(2) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص46.

(3) - لطفي بوقرية : (محاضرات في اللسانيات الاجتماعية )، ص2.

(4) - هيدسون : علم اللغة الاجتماعي ، ص17.



اجتماع اللغة " ليس اختلافا في العناصر ، و إنما في محور الاهتمام و يستند ذلك إلى الأهمية التي يوليها الدارس للغة أم المجتمع و إلى مدى مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية و هناك قدر كبير من التطابق بين هذين العلمين و قد يكون المدي أن نحاول الفصل بينهما بطريقة أكثر وضوحا مما هو عليه حاليا " (1).

و مهما يكن من اختلاف في محور الاهتمام إلا أن كلا العلمين لا يخرجان عن منطقت دراسة الإنسان و مساراته الاجتماعية و خصائصه اللغوية .

#### 04- علم الاجتماع اللغوي و علاقته ببعض العلوم :

يتصل علم الاجتماع اللغوي بعلوم أخرى في دراسة الحياة الاجتماعية للأفراد من جانبها اللغوي و قد تتداخل معها خاصة و أن اللغة كما يقول حلمي أن " اللغة كما نعلم شديدة التعقيد لأنها تتصل بجوانب مادية طبيعية physical و فيسيولوجية physiological و اجتماعية socially و نفسية psychological و عقلية mentally ، كما يتصل بعلم أمراض الكلام speech pathology و علاج ذلك speechtherapy و غير ذلك (2) فذلك كان لزاما على علم الاجتماع اللغوي الاتصال بعلوم أخرى ذات الاختصاصات الإنسانية وهو ما يتفق حوله بعض العلماء و أيضا ما يوضحه حلمي خليل بقوله : " يرى بعض العلماء أن أهم ما يميز القرن العشرين من الناحية العلمية و المنهجية هو منهج تداخل العلوم أي أن أية ظاهرة نظرية و تطبيقية و فلسفية و إنسانية و اجتماعية و اقتصادية وغير ذلك (3).

فمن ذلك يمكن أن نعرض بعض العلوم و علاقتها بعلم اللغة الاجتماعي :

(1)- المرجع نفسه : ص 18.

(2)- حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 9.

(3)- محمود السعمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص 49.

## 04-01- علم اللغة العام و علم الاجتماع اللغوي :

ليس من اليسير إدراك العلاقة القائمة بين علم اللغة العام و علم اللغة الاجتماعي إلا بعد تعريف كل منهما ، و أن نكون على دراية بموضوع دراسة كل من العلمين و بذلك تتحدد نقاط الصلة أو التداخل بينهما .

فعلم اللغة الاجتماعي - كما سبق تعريفه - هو علم يدرس علاقة اللغة بالمجتمع والكشف عن مدى تطابق البنى اللغوية و البنى الاجتماعية و يعرف محمود السعران علم اللغة فيقول : " علم اللغة هو العلم الذي يتخذ " اللغة " موضوعا له " و يعرفه فارديناند دي سوسير فيقول : " إن علم اللغة الوحيد و الصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها و من أجل ذاتها " .

و من ذلك فإن علم اللغة يدرس اللغة في حد ذاتها و يستعين في دراسته على بحوث لموضوعات شتى حددها على عبد الوافي في نقاط نذكر منها :

1. " البحوث المتعلقة بنشأة اللغة الإنسانية و الأشكال الأولى التي ظهر فيها التعبير والأدوار التي اجتازها حتى وصل إلى مرحلة الأصوات ذات الدلالات .
2. البحوث المتعلقة بحياة اللغة و ما يطرأ عليها من غنى و فقر ، و سعة و ضيق و ما تتعرض له من انقسامها إلى لهجات .
3. دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة و بيان أقسامها و فصائلها و خواص كل قسم و مخارجه .
4. بحوث اجتماعية ترمي إلى بيان العلاقة بين اللغة و الحياة الاجتماعية و أثر المجتمع و حضارته و نظمه و تاريخه و تركيبه و بيئته الجغرافية ... في مختلف الظواهر اللغوية .

5. بحوث نفسية تدرس العلاقة بين الظواهر اللغوية و الظواهر النفسية " (1) و من ذلك فإن المتفحص لهذه البحوث يجدها لا تخرج عن إطار الدراسات السوسiolinguistic ، فقد اقتصت بدراسة اللغة كنظام تواصل بين الأفراد داخل الجماعات ويضيف علي عبد الوافي فيقول : " لا تقل هذه البحوث في دراسة اللغة من أهمية البحوث الاجتماعية السابقة " (2) ، و لعل علم اللغة يقدم لنا صورة واضحة للصلة القائمة بينه و بين علم اللغة الاجتماعي من خلال مهمة علم اللغة التي يحدد هـدسون " هي اكتشاف و تحديد قواعد أية لغة حتى يستطيع علماء اللغة الاجتماعي بعد ذلك أن يدرسوا نقاط هذه القواعد بالمجتمع كما يحدث مثلا عندما يكون هناك عدد من بدائل التعبير اللغوي التي تستخدمها المجموعات الاجتماعية المختلفة للتعبير عن الشيء الواحد " (3)

#### 04-02- علم الاجتماع اللغوي و علم النفس :

يتداخل علم اللغة الاجتماعي و علم النفس من حيث موضوع الدراسة التي تختص بالسلوكات الإنسانية فعلم النفس هو " العلم الذي يدرس القوانين العامة للسلوك الإنساني " (4) ، حيث تقوم دراساته حول موضوعات شتى كالإدراك و التخيل والتفكير و من ثم " وجد علماء النفس أنهم لا بد لهم من اهتمام خاص بموضوع اللغة باعتبارها من الأمور الهامة التي يحتاجون إليها في دراسة مثل هذه الموضوعات " (5) و أن اللغة تتشب جذورها في أقصى أعماق الشعور لأن الشعور الفردي ليس إلا عنصر من عناصر

(1) - علي عبد الواحد وافي : علم اللغة و فقه اللغة ، ص 6-13.

(2) - المرجع نفسه ، ص 13.

(3) - هـدسون : علم اللغة الاجتماعي ، ص 15.

(4) - سيد غنيم : (الفكر و اللغة عند الطفل) ، مجلة عالم الفكر ، العدد الأول ، المجلد الثاني 1971، ص 94

www.liilas.com

(5) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 141.

الشعور الجماعي الذي يفرض قانونه على كل فرد " (1)، فعلم اللغة الاجتماعي يتولى دراسة السلوكات الجماعية التي لا تخرج عن إطار الممارسات الفردية .

#### 04-03- علم الاجتماع اللغوي و علم الانثروبولوجيا :

إن مفهوم الانثروبولوجيا يتداخل نوعا ما مع الدراسات التي يهتم بها علم اللغة الاجتماعي حيث أن - الانثروبولوجيا - تهتم بدراسة الألسنة الخاصة بالجماعات البشرية من حيث الخصائص الإنسانية للمجتمعات ، و خاصة منها المجتمعات البدائية أو الفطرية فهي تهتم بدراسة الصلة التي تربط اللغة بالخصائص الثقافية للإنسان في مجتمع معين " (2) وتبرز صلة هذا العلم بعلم اللغة الاجتماعي فأن الثاني يدرس اللسان الاجتماعي أيضا ويهتم باللغة الخاصة بالجماعات حيث تقف اللغة " موقف الرابطة التي توحد أعضاء الجماعة فتكون العلامة التي بها يعرفون و النسب الذي إليه ينتسبون " (3)

و من ذلك فمحور الاهتمام واحد هو اللغة حيث " ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة و هي العامل الأساسي الذي يقوم عليه العلاقات داخل المجتمع كما أنها الوسيلة التي تنتقل لنا الثقافات عبر الأجيال " (4).

هذه بعض العلوم الإنسانية التي لها علاقات و اتصال بعلم الاجتماع اللغوي ، و قد يكشف الباحث هذه العلاقات و أيضا بعض التداخلات من خلال مجالات البحث لعلم اللغة الاجتماعي .

#### 05- مجالات علم الاجتماع اللغوي :

حدد هاليداي (\*) اهتمامات اللسانيات الاجتماعية كما يلي :

(1) - فندريس : اللغة ، ص11.

(2) - نور الهدى لوشن : مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، ص160-161 .

(3) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص19.

(4) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص24-25.

- الازدواجية اللغوية و التعدد اللغوي و تعدد اللهجات
- التخطيط و التنمية اللغوية
- ظاهر التنوع اللغوي
- علم اللهجات الاجتماعي ( المتنوعات غير المعيارية )
- اللسانيات الاجتماعية و التربية
- الدراسة الوصفية للأوضاع اللغوية ( طريقة و أسلوب الكلام )
- السجلات و الفهارس الكلامية و الانتقال من لغة إلى أخرى .
- العوامل الاجتماعية في التغير الصوتي و النحوي
- اللسان و المجتمع التواصلي الحضاري
- النظرية الوظيفية و النظام اللغوي
- تطور اللغة عند الطفل
- اللسانيات العرفية ( الاتنومنهجية )
- دراسة النصوص (1)

\* - هاليداي (من مواليد 13 أبريل 1925) هو لغوي بريطاني الذي طور نموذجا لغوية وظيفية النظامية المؤثرة دوليا للغة. له أوصاف النحوية يذهب بها اسم النحو وظيفية جهازية يصف هاليداي اللغة كنظام السيميائي، "ليس بمعنى وجود نظام من العلامات، لكن مورد النظامية لمعنى". للهاليداي واللغة هي "المحتملة معنى"؛. بالتبعية، وقال انه يعرف علم اللغة ودراسة "كيف يتبادل الناس المعاني التي كتبها "languaging] هاليداي يصف نفسه بأنه اختصاصي، وهذا يعني أنه قد حاول "أن ننظر إلى اللغة من كل وجهة نظر ممكنة.  
(1) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص 25.

كما يدخل ضمن علم الاجتماع اللغوي بمعناه الواسع أيضا ميادين أخرى كتحليل الخطاب السياسي أو الأدبي أو الديني أو الإعلامي ... الخ (1)

### 06- موضوع علم الاجتماع اللغوي :

تبحث الدراسات السوسiolغوية في مواضيع شتى لها علاقة باللغة من جهة وبالمجتمع من جهة أخرى ، و تركز هذه الدراسات على محاور أساسية و ما يتفرع عنها من مواضيع مختلفة ، فتعد اللغة أهمها على الإطلاق لأن من خلالها تتحدد الأمور و تتضح المفاهيم التي تختص بالإنسان ككائن اجتماعي و كموضوع الدراسة " أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الفكر و النفس و إنما إحدى وظائف اللغة إنها حلقة في سلسلة النشاط الاجتماعي "(2).

و من ذلك يمكن أن نحكم على " أن الإنسان لغة و يلزم هذه المقولة أن اللغة من كيان الإنسان فلا إنسانية بدون لغة " (3) ، فبالغة يفهم الإنسان و يتضح كيانه و مرجعياته و بها يجمع شتان تاريخية و أنماط حياته التي تختلف من جيل لآخر .

يعتمد علم الاجتماع اللغوي في أبحاثه و بناء نظرياته على علوم مختلفة كعلم النفس الذي من خلاله تتحدد السلوكيات الفردية داخل الجماعات و الانثروبولوجيا و التي تبحث في الثقافات الإنسانية و علم الاجتماع الذي يدرس الظواهر الاجتماعية و تتبع مساراته داخل الجماعة ، و من ذلك يمكن تحديد بعض محاور الدراسة التي كانت محط اهتمام علم اللغة الاجتماعي أو ما يصطلح عليه حديثا باللسانيات الاجتماعية .

(1)- المرجع نفسه ، ص24.

(2)- حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 201.

(3)- محمد عزيز الحباني ، تأملات في اللغو و اللغة نقلا عن هادي نهر ، علم اللغة الاجتماعي ، ص 19.

## 06-01- اللغة :

يقصد موضوع اللغة المحاور الأساسية في الدراسات اللسانية الاجتماعية على أساس الدليل المثبت للوجود الإنساني و من خلالها ننفذ إلى جوانب حياته و تتبع مساراته فعلى هذا الأساس وجب على الدارس في خصوصياتها من حيث نشأتها و طبيعتها و الوظيفة التي تؤديها داخل المجتمعات ، يقول علي عبد الواحد : " و قد كان لزاما أن يصل العلماء في تعقيبهم لأصول اللغات و مراحل ارتقائها إلى أقدم مرحلة للتعبير الإنساني ، و أن يحاولوا الكشف على منشأ اللغة في الفصيلة الإنسانية و عن الأسس الأولى التي قام عليها التخاطب بالأصوات ذات الدلالات الوصفية و قد استأثرت هذه المشكلة بقسط كبير من نشاطهم في منتصف القرن التاسع عشر " (1)

و تواصلت الأبحاث إلى أواخر القرن التاسع عشر حيث ظهر عند المشتغلين بالبحوث اللغوية اتجاهان هامين :

أ/ **الاتجاه الأول** : يتمثل في جعل البحوث اللغوية بحثا علمية بالمعنى الصحيح بهذه الكلمة و ذلك بإخضاعها لمناهج البحث العلمي و توجيهها إلى الأغراض نفسها التي ترمي إليها العلوم و جعل غايتها الأساسية الوصول إلى كشف القوانين الخاضعة لها الظواهر اللغوية .

و أما **الاتجاه الثاني** : يتمثل في التخصيص في دراسة فرع واحد أو بعض مسائل من فرع من بحوث اللغة حيث وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من النضج في ظهور عدة علوم كدراسة اللهجات العامية السيكولوجية اللغوية و علم الاجتماع اللغوي " (2) ( بيان أثر المجتمع و نظمه و تاريخه و تركيبه و بنيته في مختلف الظواهر اللغوية ) ، و لعل بضارب الآراء و تعدد المذاهب ما بين قائل بان اللغة ( الهام رباني ) أو أنها ( مواضعة و اصطلاح

(1) - علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ، ص56.

(2) - المرجع نفسه ، ص66.

اجتماعي ) أو أنها ( غريزة كلامية ) أو محاكاة لأصوات الطبيعة ) (1) دليل على البحث في نشأتها لا يمكن تجاهله ، و تبين مدى ارتباط اللغة بالإنسان .

### 01.01.06- طبيعة اللغة :

يبحث علم اللغة الاجتماعي في طبيعة اللغة من حيث أنها نتاج اجتماعي متواضع عليها منذ القديم حيث يقول ابن فارس ( ت395 ) " تؤخذ اللغة اعتبارا كالصبي العربي يسمع أوه و غيرهما ، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات ، و تؤخذ تلقنا من ملقن وتؤخذ سماعا من الرواة و التقاة ذوي الصدق و الأمانة " (2)

من المعروف أن اللغة كغيرها من الكائنات تنمو و تكبر و تقوى و تضعف و أحيانا تنقسم فهي في تطور مستمر تبعا للوضعية الاجتماعية و من ذلك فهي لا تخضع لقوانين التطور الفردية يقول هادي نهر : " لما كانت اللغة حاجة اجتماعية ، فإنها غير مرتبطة بالفرد كفرد ، بل هي مجموع من الأدلة يتواضع عليها المستعملون ، و هو ما كان يسميه علماءنا ( بالوضع ) (\*) و يقابله ( الاستعمال ) أو الاصطلاح أو التواطؤ (3)

إذا " و على هذا الأساس من هذا الفهم لمصطلح اللغويين ( الوضع ) يمكن أن نفهم بدهاء أن اللغة ليست ظاهرة غريزية ، و إنما هي مكتسبة كما ذكر ( سابير ) - مما تقدم - وقد وعى علماءنا هذه الحقيقة من قبل ( سابير ) بمئات السنين ، حيث تحدثوا عما سموه ( السليقة اللغوية ، قاصدين بها اكتساب المرء لغة المجتمع الذي يعيش فيه (4)

• (1) - هادي نهر : نشأة اللغة و تطورها في مباحث اللغويين عند العرب الأجانب )، مجلة الجامعة المستنصرية العدد الرابع

1979 ص7 . [www.mohamedrabeea.com/books/book1\\_1983](http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_1983)

(2) - ابن فارس الصاحي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، تح أحمد حسن بسبح ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1997 م ، ص 34.

\* - الوضع عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء بحيث اذا أطلق الأول فهم الثاني .

(3) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي ، ص71.

(4) - المرجع نفسه ، ص 72.



## 06-02- التغير اللغوي :

اللغة محور أساسي ينبئ بحركة التاريخ الإنساني و أنماط مسيرته الفكرية و الثقافية و تطوراتها الاجتماعية فاللغة تعبير عن التفاعلات الإنسانية ، خاضعة لقانون التطور الذي تخضع له مختلف الجماعات البشرية وفقا لمستجدات العصر الذي تواكبه و من المرجح أنه " لا توجد لغة في العالم محجوبة عن حركة التطور و عن اللغة التي لا تتطور لتلبي حاجيات الإنسان المتجددة تحسب في تعداد الأموات " (1) .

و يعرف التطور على انه " حدث منظم له قوانينه التي تنتجها و هو دائم ، دائم ، هام و ضروري فلولاها لانقطعت الحياة و توقف جريانها " (2)

و لأن اللغة من خلق الفكر الإنساني تنمو بنموه و تضعف لضعفه فهي تتغير تبعا لصدى الأوضاع الزمانية و المكانية من جيل لآخر " فالعوامل الاجتماعية و الدينية والسياسية و الثقافية ، للغة تتأثر تأثرا مباشرا في محيطها الاجتماعي ، و ما يصادف هذا المحيط من أحداث سياسية أو ثقافية أو دينية حاسمة ، فالتطور الذي أصاب مجتمع ما قبل الإسلام بعد أن بعث الله في الناس رسولا مبشرا و نذيرا قد بانته نتائجها ، فيما بانته على اللغة ، فقد دفعت العقيدة الجديدة المجتمع العربي إلى إبداع لغوي صحب هذه الثورة الدينية و الفكرية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي جاء بها الإسلام ، فاستجدت كلم وأميئت كلمات و تغيرت دلالات كثيرة من الألفاظ انحسارا أو اتساعا ، أو استجدت لها دلالات لم تكن لها من قبل " (3) .

(1) - منذر عياشي : قضايا لسانية و حضارية ، ط1 ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، سوريا ، 1991م، ص57 .

(2) - المرجع نفسه ، ص56.

(3) - هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ط1 ، عالم الكتب الحديث جدار للكتاب العالمي ، عمان ، 2008 ، ص509.

و من ثم فإن " تاريخ اللغة المعنية نفسية عاملا من عوامل التطور الدلالي لبعض ألفاظها ، فكثير من الألفاظ كانت تستعمل بدلالات معينة ثم انتقلت عبر التاريخ إلى دلالات أخرى بما يرسم أمامها صور التطور الدلالي الذي أصاب تلك الألفاظ " (1).

### 06-03- اللهجات (Dialectes) :

عرف إبراهيم أنيس اللهجة بقوله " اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث تعني مجموعة من الصفات تنتمي إلى بيئة خاصة ، و يشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة " (2) و يعطي " أنطوان ميه " مفهوما لمصطلح اللهجة فيقول " إن كل جهاز كامل للتفاهم بالنطق ، أي كل لغة تتعرض لأن تنقسم المجموعة البشرية المتكلمة بها إلى جماعات جزئية يشعر كل منها بأن له في استعمال هذه اللغة نوقا خاصا متميزا من الناحية الصوتية و من ناحية الصرف و التركيب و الدلالة يعرف به ، و يسهل من خلاله تمييزه ونسبته إلى جماعته الجزئية الخاصة ، و هكذا تعرض للغة نفسها تقسيمات فرعية تبعا لتقسيم المتكلمين بها إلى جماعات صغيرة مع دخول الزمن عاملا أساسيا في هذا التطور و يعرف كل قسم فرعي في داخل اللغة الواحدة باسم اللهجة " (3).

و يحدد حسن ظاذا مصطلح اللهجة من جانبه اللغوي فيقول : " و كلمة لهجة فصيحة أصلية و هي سيكون الهاء و فتحها و أصل معناها طرف اللسان و جرس الكلام و لهجة الإنسان لغته التي جبل عليها فاعتادها و نشأ عليها ، قال ابن منظور : " و اللهجة اللسان و هو يقصد اللسان بمعنى الحديث و الكلام " (4)

و لما كانت اللهجة من أهم الموضوعات التي تبحث فيها اللسانيات الاجتماعية كان لزاما على هذه الدراسات البحث في ماهيتها و كيفية تكونها و تنوعاتها و الكشف على

(1) - هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي ، ص 511.

(2) - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، مكتبة الانجلومصرية ، مطبعة ابن وهبة ، القاهرة ، 1965 ، ص 15.

(3) - حسن ظاذا : اللسان و الإنسان ، ص 122.

(4) - حسن ظاذا : اللسان و الإنسان ، ص 123.

جوانب أخرى تخصها و لعل أول ما يتبادر إلى ذهن الباحث أو الدارس هو كيف تكونت اللهجة ؟ و ما هي العوامل التي ساعدت على وجود لهجة من اللهجات ؟

يقول ابراهيم أنيس في ذلك " هناك عاملان رئيسيان يعزى اليهما تكون اللهجات في

العالم و هما :

أ/ الانعزال بين بيئات الشعب الواحد

ب/ الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات " (1)

فأما الانعزال بين بيئات الشعب الواحد فيوضحه قائلا " فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها ، و فصل بينها بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة ، فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة أو انعزالهم بعضهم عن بعض و يتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة " (2).

و أما العامل الثاني و المتمثل في الصراع اللغوي فيوضحه أيضا "ابراهيم أنيس" ويعطي له مفهوما فيقول " الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة ، فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا ، يتكلم أهلها لغة أخرى ، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية و المغزوة و تكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما ، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية و المغزوة يشمل على عناصر من هذه و أخرى و تلك " (3) .

(1) - ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص21.

(2) - المرجع نفسه ، ص20.

(3) - هدسون : علم اللغة الاجتماعي ، ص 46.

بذلك تتكون اللهجة نتيجة لعاملي التوسع البيئي و انعزاله ، و أيضا الصراع اللغوي وتصبح - اللهجة - لغة المحادثة و الاتصال بين أبناء الجماعة التي تحتضنها و تنسب إليها، و من ثم يطلق عليها مصطلح اللهجة الاجتماعية .

### 01.03.06- اللهجات الاجتماعية :

و تنشأ هذه اللهجة داخل الإطار الاجتماعي الواحد و تختص بها جماعة دون أخرى مع بعض التشابه لأنها تفرقت عن لغة مشتركة و هي لغة الأم و يصطلح على الناطقين باللهجة الواحدة باسم " الجماعة الكلامية " التي يعرفها العالم الأمريكي "بلومفيلة" (\*) فيقول : " أن الجماعة الكلامية هي مجموعة من الناس تتعامل و تتصل عن طريق الكلام "(1)

فلا يمكن تحديد لغة ما أو لهجة إلا من خلال الناطقتين بها من حيث الأصوات أو المعاني الدلالية أو الوحدات المعجمية المستعملة بين أفراد الجماعة الواحدة .

كما تنشأ لهجات مختلفة بين أبناء المجتمع الواحد نتيجة للاختلافات بين الأفراد الناطقين بها ! و ذلك تبعا لمستوياتهم الثقافية و الفكرية و العقائدية و أيضا للممارسات الوظيفية و المهنية و كذا أنماط معيشتهم " اذ تتشعب لغة المحادثة في البلد الواحد أو المنطقة الواحدة إلى لهجات مختلفة تبعا لاختلاف طبقات الناس و فئاتهم فيكون ثم مثلا لهجة للطبقة الارستقراطية و أخرى للجنود و ثالثة للبحارة و رابعة للرياضيين و خامسة للبرادين و سادسة للنجارين ... و هم جرا و يطلق المحدثون من علماء اللغة على هذا النوع من اللهجات اسم ( اللهجات الاجتماعية dialectes sociaux ) (2)

\* - بلومفيلد (1887-1949) لساني أمريكي رئيس المدرسة التوزيعية له كتاب بعنوان الكلام أصدره سنة 1933 متشع بالمبادئ السلوكية التي أسقطها على المنهج الوصفي اللساني ، صاحب نظرية لسانية في علم النفس السلوكي ، تأثر بواطسن ، فسر الحدث الكلامي من منظور سلوكي .

(1) - هديسون : علم اللغة الاجتماعي ، ص46.

(2) - علي عبد الواحد اوافي : علم اللغة ، ص188.

و لا يمكن تمييز هذه اللهجات الاجتماعية تمييزا واضحا إلا في المدن الكبرى أين يتكاثف النشاطات و تختلف الممارسات و تتفاوت الطبقات و تنتوع المستويات الثقافية للأفراد و الجماعات و هذا التفاوت و هذا التباين " يحدث القطيعة (\*) و الانفصال عن اللغة المشتركة حينما تغيب الروابط السياسية و الدينية و الاجتماعية و أيضا عندما تنعدم وسائل الاتصال الجماهيري التي لها دور أساسي في هذا الشأن (1) .

لأن اللهجات الاجتماعية نتاج الاتفاق و المواضعة و أساس لربط أوامر التواصل بين الأفراد و الجماعات و حصيلة الأوضاع و المستويات " فاللهجات الاجتماعية لا تنشأ من تلقاء نفسها بل تخلق خلقا و تبتدع بالتواضع و الاتفاق بين أفراد الطبقة الواحدة و ترتجل ألفاظها و مصطلحاتها ارتجالا " (2) فمتى دخلت بين هذه التقاطعات و هذه الاتفاقات مسارات أخرى مخالفة للأصل اهتزت اللهجة و حدثت تشققات داخل المجتمع الواحد من جانبه اللغوي و ربما القطيعة مع مرور الوقت .

"يهتم دراسات علم الاجتماع اللغوي بمحور أساسي في اللغة و هو الاختلافات اللهجية داخل المجموعة الإنسانية الواحدة و تبحث الدراسات في الأسباب و عوامل التأثير فيها من جوانبها المختلفة و المتعددة من صوتية و دلالية و أخرى بيئية و غيرها و لعل أهم هذه العوامل ما يبرزها بإيجاز في هذا القول : " تتميز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة غير أن اللهجة تتميز أيضا بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة و نسجها أو معاني بعض الكلمات " (3)

\*- و نعني بالقطيعة مسافة تفصل بين لغة محدثة و أصلها التاريخي المنسلخة عنه و هي تتجسد في شكل انقسام حاد و كلي بين اللغة الأم و اللغات التي تولدت عنها .

(1) - أحمد حساني : مباحث في اللسانيات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994 ، ص 21 نقلا عن نور الهدى لوشن ، مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي. ص 164.

(2) - علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ، ص 191-192.

(3) - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص 16.

و ميز إبراهيم أنيس " الاختلاف اللهجي من جانبه الصوتي لاعتبار هذا الأخير المميز الأساسي لهجة من اللهجات فتشير إلى ذلك و مفصلا إياها في نقاط فيقول : " أما تلك الصفات الصوتية التي تميز اللهجات فيمكن أن تلخص في النقاط التالية :

1. الاختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية .
  2. اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات .
  3. اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين
  4. تباين في النغمة الموسيقية للكلام
  5. اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة ، حيث يتأثر بعضها ببعض<sup>(1)</sup>
- و هذه الاختلافات في الصفات الصوتية ما هي إلا ميزات للتباين اللهجي و تعدده .

#### 02.03.06- اللهجات الفردية :

تتميز لغة الفرد الاجتماعي داخل محيطه تبعا لتميزه الثقافي و الفكري و قدراته العقلية و أيضا الفروقات الفردية الفيزيولوجية و السيكولوجية مع مراعاة الجانب المادي والفرد بصفته عضوا داخل هذا الإطار الاجتماعي له مكتسباته الخاصة و انطباعاته ينفرد بها دون أبناء مجتمعة فتتكون لديه لهجة خاصة يتواصل بها مع الآخرين إن " اللغة علامة مميزة للفرد ، و أول ما يبدو من تميزها هذا هو اختلاف الأصوات " الطبيعة للأفراد ، هذا الاختلاف الذي يرجع لأسباب عفوية<sup>(2)</sup> إذ أن موضوع الدراسات السوسiolغوية تبحث في الفروقات اللهجية للمتكلمين و منها الكشف عن الأسباب و المميزات الخاصة و لعل هذه الأخيرة تظهر في قول محمود السعران " فما يميز لغة فرد من فرد ما يكون لكل متكلم من " لوازم لغوية " و اللازمة " اللغوية قد تكون كيفية من نطق كلمة أو كلمات و قد تكون عبارة

(1)- إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص17.

(2)- المرجع نفسه ، ص17.

يكثر ترادها : و قد تكون كلمة أو جملة ينطق بها في ظروف معينة ، و قد تكون لفظة أو ألفاظ لا يستعملها نظراؤه ، و قد تكون جمعا بين شيئين أو أكثر من هذا " (1) .

و ملخص القول أن اللغة كما سبق ظاهرة فردية و اجتماعية ، لأن " كل فرد له خاصيته من الأفكار تختص به و مشاعر و أفعال تعد مميزا له و من ثم تتحدد شخصيته داخل الجماعة ، فاللهجة الفردية " كل ما يتعلق بالطابع الشخصي أثناء الإنتاج الفعلي للكلام إذ أن لكل شخص خصائصه اللغوية المميزة منها :

1. البصمة الصوتية التي تختلف من شخص إلى آخر .
2. العادات اللغوية التي تظهر أثناء عملية التلفظ .
3. الشعور بالانتماء المهني و الحرفي و أثره في القاموس اللغوي (2).

### 03.03.06- اللغة و الجنس :

تختلف الصفات اللغوية بين الرجال و النساء من حيث طرق التواصل و أساليب السلوكات اللغوية و حتى النبرات الصوتية ، و يعود هذا الاختلاف إلى أسباب تأثيرية يخضع لها كل من الجنسين - الرجل و المرأة - و يصف ذلك علي عبد الرزاق قائلا : " تختلف لهجة الرجال عن لهجة النساء اختلافا كبيرا أو يسيرا تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية فتجد هناك أساليب و ألوان من الكلام تتخلل أو تكسو التوظيف اللغوي عند النساء عنه عند الرجال " (3).

و تميل المرأة إلى الالتزام و حسن التعبير ، أساليب تتماشى و العرف الاجتماعي " وتكثر مظاهر هذا الاختلاف اللغوي كلما استحكمت حلقات الانفصال بين الجنسين حتى أنه نشأ أحيانا من جراء ذلك لكل منهما لهجة تختلف اختلافا بينا عن لهجة الآخر و تشمل

(1)- محمود السعران : اللغة و المجتمع ، ص 56.

(2)- علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ، ص 193.

(3)- لطفي بوقرية : (محاضرات في اللسانيات الاجتماعية) ، ص 10.

لهجة كل منهما على مفردات و جمل كثيرة لا تستخدم في اللهجة الأخرى ، و قد لوحظ ذلك في بعض الشعوب البدائية على الأخص " (1)

### 04.03.06- المحظور اللغوي ( Taboo )

يُعني الكلام المحظور بانطباع صدى الفكر العربي و الثقافي و الديني للأفراد والجماعات و استجلائه في صياغاتهم اللغوية أثناء الاستعمال و المعاملات التواصلية فيما بينهم " و ترتبط هذه الظاهرة باعتباريات التي تقبل أو ترفض استعمال كلمات معنية مثل الكلمات التي تتصل بالعيوب و العاهات الجسمية و أسماء الأمراض و أجزاء معينة من جسم الإنسان تلجأ المجتمعات في مثل هذه الحالات إلى التعبير بكلمات أكثر غموضاً وأوسع دلالة و تهذب بعض الكلمات " (2) و ذلك بمقتضيات ما يقبله العرف و التقليد والدين المعتنق إلى جانب المستويات الثقافية " و ما يكون عليه الأفراد من حشمة و أدب في شؤونهم و معاملاتهم و علاقاتهم ببعضهم ببعض ينبعث كذلك صداه في لغتهم ألفاظها وتراكيبها ، فاللغة اللاتينية لا تستحي أن تعبر عن العورات و الأمور المستهجنة و الأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة ، و لا أن تسميتها بأسمائها الصريحة ، على حين أن اللغة العربية بعد الإسلام تتلمس أحسن الحيل ، و أدناها إلى الحشمة و الأدب في التعبير عن هذه الشؤون فتلجأ إلى المجاز في اللفظ و العرف و تستبدل الكناية بصريح القول " (3) ، فقد يكون الدين أو التقليد أو العرف أساس لتأسيس التعابير الكلامية و الصياغات الخطابية بما يتماشى و مبادئ و أصول هذا الدين و هذا العرف ، فبعض الألفاظ و بعض التراكيب يستحي العربي المسلم استعمالها و النطق بها " و قد كان لها بهذا الصدد في ألفاظ القرآن الكريم و عباراته أسوة حسنة قوله تعالى " نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ( سورة

(1) - المرجع نفسه ، ص 193.

(2) - نور الهدى لوشن : مباحث علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، ص 166.

(3) - علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ص 263.



البقرة الآية 223) و قوله أيضا : " أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم هن لباس لكم " (سورة البقرة الآية 187 ) ... و ما إلى ذلك من كريم العبارات و نبيل الألفاظ .

### 07- أهمية علم الاجتماع اللغوي :

إن النظر في موضوع علم الاجتماع اللغوي من حيث أنه علم يبحث في التفاعل الوظيفي بين اللغة والمجتمع ، والاهتمام بالفعل الكلامي التواصلية واستقصاء الملامح اللغوية وظواهرها ، وأيضاً استقراء حركية النشاط الاجتماعي ، والوقوف على التباينات الاجتماعية ومختلف تعابيرها ، بما يتناسب و مقتضيات أفكارها الثقافية و الحضارية و لم يتوقف علم الاجتماع اللغوي عند هذه المعطيات و الاهتمامات فحسب ، بل إن هذا العلم له اهتمامات علمية و فنية و فلسفية واسعة و أبعاد موضوعية عن حد تعبير هادي نهر بقوله " من الاعتبارات العلمية نذكر أيضاً المشكلات اللغوية في المجتمعات النامية ، إذ تعيش أكثر هذه المجتمعات على الصعيد الخارجي داخل تعقيدات العصر الزاخر بالأحداث و التحديات الاستعمارية ، و الصراعات الفكرية التي تحاول أن تطمس شخصية الشعوب الناهضة و إيقاف مسيرتها نحو الرقي و الاستقلال الفكري و السياسي و ذلك بواد لغاتها وصولاً إلى مسخ تراثها و تقاليدها ، باعتبار اللغة محور حياة أصحابها اجتماعياً ، و فكراً و وجدانياً " (1).

فتتولى اللسانيات الاجتماعية عن هذه التجاوزات و هذه التعقيدات و إبداء الصراعات الفكرية و كل ما يشمل حركية النشاط الإنساني داخل مجتمع وفق أبعاد و مناهج علمية مؤسسة على مبادئ و أصول موضوعية لتقادي هذا الكل الذي يقف في وجه الارتقاء والتقدم و ذلك بتبيان الأسباب و إعطاء الحلول بما يتوافق و المصلحة الاجتماعية للمحافظة على الأصول وفق تجليات المستجدات العصرية و الصراعات الأهمية .

(1) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، ص50.

إن لعلم الاجتماع اللغوي علاقات وطيدة بمختلف العلوم كعلم النفس و الانتروبولوجيا و علم اللغة و غيرها من العلوم الأخرى على اعتبار أن هذه العلاقة مترتبة عن أخذ وعطاء و يظهر ذلك مثلا في علاقة علم الاجتماع اللغوي و علم النفس ، مع العلم أن هذا الأخير يبحث في الفروقات الفردية " و اللغة عنصر أساسي من حيث عناصر الشخصية الإنسانية تتداخل مع كامل الجهاز النفسي للإنسان ، تعبر اللغة عن الجانب من الشخصية الفردية فتكشف عن هويتها العرفية الثقافية الدينية الاجتماعية ، المهنية الجنسية ، العمر " (1)

يبحث علم الاجتماع اللغوي في العلاقات الإنسانية التواصلية و تطورات اللغة و إبراز أهم العوامل التي تدعو إلى هذا التغير فتبرز أهمية هذا العلم كما حددها هادي نهر : " في دوره الفاعل في دراسة وسائل المختلفة على أساس أن الاتصال هو الوسيلة الهامة التي تنتقل بها الحضارة من جيل إلى جيل ، و أن أية حضارة لا تقصح عن نفسها إلا بطرق الاتصال فيها ، ومن ثم فإن دراسة هذه الطرق في مجتمع ما توقفنا على أبعاد كيانه الحضاري (2)

و يوافق الرأي إبراهيم السامرائي بقوله " و ليست اللغة رابطة بين أعضاء المجتمع الواحد بعينه ، و إنما هي عامل مهم للترابط بين جيل و جيل من أجل هذا كان من السهل على الباحثين أن يكتبوا تاريخا واضحا لكثير من اللغات الحديثة ، بادئين بأقدم صورة متعقبين التطور التاريخي و لهذا استطعنا أن نقف اليوم على البحوث القيمة في هذا الموضوع (3).

و من ذلك فإن أهمية علم الاجتماع اللغوي تكمن في البحث عن الأصول الوظيفية للغة و المجتمع ، و الكشف عن السلم الحضاري و الثقافي للسلاسل و الأجيال على مراحل مختلفة ، و إبداء الصور الكلامية للخطابات الإنسانية و الكشف عن إشكالاتها لحل مجمل

(1) - لطي بوقرية : (محاضرات في اللسانيات الاجتماعية )، ص12.

(2) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، ص53.

(3) - إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن ، ص169 ، 1700.

التعقيدات ، و يقول هادي نهر في ذلك " إن أهمية علم اللغة الاجتماعي تبرز من دوره في حل كثير من مشكلات التعليم و العلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة لما للغة من دور فاعل في الإفصاح عن هذه القيم و تلك العلاقات الاجتماعية و الثقافية للمجتمع " (1)

و خلاصة القول " إن علم الاجتماع اللغوي هو عصب الدراسات اللغوية و صلبتها وإن الدراسات المستقبلية ستتخذ كما يأمل بعض الباحثين المعاصرين في معظمها طابعا لغويا اجتماعيا " (2).

(1) - هادي نهر : علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، ص53.

(2) - المرجع نفسه ، ص54.

# الفصل الثالث

## اللغة و التواصل

1. قيمة كتاب البيان و التبيين
2. البيان و الوظيفة الاجتماعية
3. مستويات التعبير عند الجاحظ
4. الجاحظ و الدراسة الصوتية
5. التنوع اللغوي و سياقة الموقف

## أولا / قيمة كتاب البيان والتبيين :

ويعد كتاب البيان و التبيين من أهم الكتب في تاريخ الفكر اللغوي الإنساني الذي أحدثه الجاحظ تأليفا لتعدد أغراضه ومواضيعه، من حيث الدقة و الفائدة فيصفه أبو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين قائلا: "وهو لعمرى كثير الفوائد، جم المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة و الفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة" (1). فخاض في الأدب (شعرا ونثرا) والبلاغة والبيان والفكر والفلسفة واللغة" وظل هذا الكتاب محط أنظار الباحثين و الدارسين بقضاياها المتنوعة ذات القيم العلمية و الأدبية " ويعد من الكتب التي لا يمكن إدراك غايتها بيسر إلا بعد تمحيص و تدقيق والقراءة المعمقة.

ويشر أبو هلال العسكري أيضا إلى ذلك فيقول "إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة مبنوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثناءه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد ألا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير" (2)

وعلى حد تعبير درويش جويدي عن الكتاب " و بالجملة فالكتاب كنز لا يمكن لطلاب المعرفة الاستغناء عنه فهو عمدة الدراسة الأدبية و لا يزال تبعا ثرا يقتبس منه العالم والطالب على السواء " (3)

(1) - أبو هلال العسكري : الصناعتين الكتابة و الشعر ، تح علي محمد بجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم (ط1) دار إحياء الكتب العربية ، دمشق ، سوريا ، 1952 ، ص5.

(2) - علي بوملحم : المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، ص72.

(3) - الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق درويش جويدي ج1 ، ط1، 3، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت، 2003م، ص5.

ومما لا شك فيه أن الجاحظ أحد أعلام العربية القدماء اللذين بلغوا مرتبة من مراتب التنظير في البحث و الدقة في الدراسات اللغوية والاجتماعية، حيث انغمس في دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية إنسانية و البحث في خصائصها و التعامل معها على اعتبارها الوسيلة المثلى للاتصال و العصب الثقافي و الحضاري للمجتمع.

نحاول من خلال هذه الدراسة الاستعانة بكتاب البيان والتبيين للبحث في الدرس اللغوي و الاجتماعي عند الجاحظ، الكيفية إلي اعتمدها الجاحظ في معالجة هذه القضية السوسيو لغوية دراسة استقرائية علمية لتبيين الأسس التي قام عليها علم الاجتماع اللغوي عند الجاحظ - و العوامل المؤثرة في جوانبه المختلفة والتي ارتكزت على العلاقة القائمة بين اللغة و المجتمع .

### ثانياً\_ البيان والوظيفية الاجتماعية:

اهتم اللغويون العرب منذ فجر الحضارة العربية و البدايات الأولى للبحث في تاريخ الفكر اللغوي الإنساني بقضايا اللغة وظواهرها وخصائصها وتتبع سبورتها وذلك بالنظر في كيفية التعامل مع الحدث الكلامي الذي تبقي عليه العلاقات الإنسانية وتتواصل الأفكار وتتحقق الحاجات. وقد زاد اهتمامهم باللغة أكثر لفهم الكتاب و السنة و الوقوف عند الإعجاز الرباني و تأويل آياته و كيفية تفسيرها .

و الجاحظ كغيره من العلماء القدامى الذين اهتموا باللغة ، فاللغة بالنسبة إليه " هي ذلك التصور الفكري للطبيعة الإنسانية و التعبير عن دقائق اختلاجاتهم حيث يقول في ذلك " المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم و المختلجة في نفوسهم و المتصلة بخواطرهم و الحادثة عن فكرهم مستورة خفية و بعيدة وحشية و محجوبة مكنونة " (1)

و لعل الذي استوقف اهتمام الجاحظ بهذه القضية كيفية التعامل مع الكتاب و السنة و هي أيضا محور أساسي في جدلية التأويل و التفسير لكلام الله و سنة نبيه و هذا ما أشار

(1) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 56 .

إليه علي بوملحم قائلاً : " و نحن نعلم أن الكتاب و السنة من أهم موضوعات علم الكلام وأن المباحثات حول تأويل الآيات القرآنية " (1) .

و أول ما أراد أبو عثمان معالجته هي مصطلح البيان و أفراد له بابا و كان يود أن يتصدر هذا الباب كتابه فقال في ذلك " أو كان في الحق أن يكون هذا الباب في أول هذا الكتاب و لكن أخرناه لبعض التدبير " (2) .

و عرف الجاحظ مصطلح البيان فيقول " و البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان و من أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع " (3) .

وضع الجاحظ من خلال هذا المفهوم كيفية قيام العملية التواصلية و إبلاغ الرسالة لبلوغ القصد و حصول المراد بين المتكلم و السامع فكلما كان المتكلم أفصح كانت الرسالة أوضح و تحققت الغاية و كان البيان ، و إن تمام البيان يفضي بقيام التواصل و كشف المعنى المراد إيصاله من المتكلم نحو السامع ، و يوضح حلمي خليل هذا المفهوم البيان فيقول " و معنى هذا أن مصطلح البيان عند الجاحظ هو مصطلح جامع ، يجمع كل طرف الاتصال و وسائل التبليغ في المجتمع و لولا أن السياق الذي ورد فيه هذا النص و عبارات مثل " كائنا من كان " و " من أي جنس كان " و " التفاضل الذي تلا ذلك بين وسائل البيان الأخرى ، و مع ذلك فإن استعمال كلمات مثل السامع و القائل و الفهم و الإفهام قد تؤكد أن

(1) - علي بوملحم : المناجي الفلسفية عند الجاحظ ، ص 355.

(2) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 57 .

(3) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 56.

الكلام المنطوق أو اللغة المنطوقة أو اللفظ " كما قال ، تأتي في المقام الأول من وسائل البيان الأخرى " (1)

و هذه المعالجة لمصطلح البيان ما هي إلا تحديد للوظيفة الاجتماعية للغة و مظهر من مظاهر التواصل الإنساني و الذي تمثله في اللغة المنطوقة ، فالجاحظ على دراية واعية و معرفة وافية قد تكون كافية عندما افتتح كتابه بالاستعاذة مما يعرقل العملية التواصلية ويفسد البيان قوله " اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل و نعوذ بك من التكلف لما نحس ، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن و نعوذ بك من السلاطة (\*)

و هذر كما نعوذ بك من العي (\*) و الحصر (2) و أردف ذلك بأبيات شعرية نذكر منها قول النمر بن تولب (3) :

أعذني ربي من حصر وعي و من نفس أعالجها علاجا

و قال مكي بن سواده (4):

حصر مسهب جريء جبان خير عي الرجال عي السكوت

و لعل مدار القول في تمام المعنى لما له أهمية في نفس الجاحظ هو الوصول إلى احد المحاور الكبرى في متابعه هي كيفية إبلاغ الرسالة الدينية ، يقول محمد الصغير بناني "فيصل أبو عثمان إلى الصفحة (12) البيان و التبیین إلى أحد المحاور الكبرى في الكتاب و هو إبلاغ الرسالة الدينية و القضايا اللسانية التي يثيرها في حالة ما إذا كان النبي لا يستطيع الإبانة عن نفسه مثل ما وقع لموسى عليه السلام المصاب بعقدة لسانه " ، و من ثم فإن مفهوم البيان له بعد ديني أراد الجاحظ من خلاله تعريف البيان تعريفا دقيقا بمصطلحات

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 267.

(\*) - سلاطة اللسان : بذاءة وحدة القول .

\* - العي : عدم القدرة على الإفصاح.

(2) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 7.

(3) - المصدر السابق ، ص 8.

(4) - محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبیین ، (دط) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994 ، ص 50-51.



تتوافق و معناه ثم تبيان أن القرآن بيان فيقول الجاحظ في ذلك "وذكر الله تعالى جميل بلائه في تعليم البيان و عظيم نعمته في تقويم اللسان فقال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان<sup>(1)</sup> ( سورة الرحمن الآية 1-4 ) و قوله أيضا " هذا بيان للناس " فمن ذلك فالجاحظ قدم مثالية البيان القرآني في الوحي المنزل على سيد الخلق أجمعين ، رسالة مبينة تحدث الأقوال و الأمثال الإنسانية تمثله في قوله عز شأنه " هذا بيان للناس " <sup>(2)</sup> ، تهدف الآية من ذلك توضيح و تبيين الرسالة التي أنيط بها رسول الله للناس كافة و هي رسالة دينية تحمل وظيفة اتصالية بين العبد و ربه و يشير إلى ذلك حلمي خليل فيقول : " و يترتب على ذلك أن هناك بيانا في صورة رسالة دينية نزلت بوحي من السماء و لكن في مستوى لغوي

معجز للناس ، و لكن هذه الرسالة ينبغي أن تفهم و هي وظيفة الرسول الذي أنيط به التبيين أو " التوصيل " [ هذا بلاغ للناس ] [سورة إبراهيم الآية52] ، [ و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم][سورة النحل الآية 44] <sup>(3)</sup> "

و إن صحة القول و بلوغ الأمر للمقام أو المقال لا يحصل إلا باستقامة اللسان ومنه إلى تمام المعنى " و لأن مدار الأمر على البيان و التبيين و على الإفهام و التفهم ، و كلما كان اللسان أبين كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد و المفهم لك و المفهم عنك شريكان في الفضل<sup>(4)</sup>، و هذا ما أراد توضيحه أبو هلال العسكري مشيرا بذلك إلى الفصاحة و البلاغة و في ذلك استقامة اللسان و تمام المعنى قوله : " و اعلم علمك الله الخبر ، و ذلك عليه ، و قبضه لك و جعلك من أهله ، أن أحق العلوم بالتعلم ، و أولها بالتحفظ - بعد المعرفة - بالله عز و جل ثناؤه علم البلاغة و معرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشده ، و قد علمنا أن الإنسان إن أغفل علم البلاغة و أخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف "<sup>(5)</sup> .

(1)- الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1 ، ، ص12.

(2)- سورة آل عمران : الآية 138.

(3)- حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص269.

(4)- الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1 ، ص14.

(5)- أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص1.

و يوضح أبو هلال العسكري قوله " و إذا كان الأمر على هذا فالفصاحة و البلاغة ترجمان إلى سعي واحد و إن اختلف أصلاهما : لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى و الإظهار " (1) و هي سعي إلى ما سعى إليه الجاحظ في القصد لفهم كتاب الله عز و جل و هو الفهم و الإفهام .

### ثالثا / مستويات التعبير عند الجاحظ :

يسلم الجاحظ بدلالات خمس بها يتم البيان و يبلغ المقام و تصل الرسالة و يحدث التواصل فيقول : " و جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الحال تسمى النصبه هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف و لا تقتصر على تلك الدلالات " (2)

و يفصل الجاحظ في كل واحدة منها إذ أن لكل صياغة من هذه الأصناف دلالتها الخاصة و وظيفة تؤديها في المقام الذي تؤسس له و تعد وسيلة من وسائل الاتصال القائم بين كل مرسل و مرسل إليه " فإذا أعدنا صياغة هذا النص عن أصناف الدلالات ، كما أسماها الجاحظ وفق النظرية اللغوية الحديثة فيما يتصل بمفهوم الاتصال communication و طرقه و وسائله لوجدنا ثلاثة من وسائل الاتصال الخمس التي ذكرها الجاحظ يهتم بها علم اللغة linguistique الآن " (3)

### 3-1- اللفظ :

و قصد به الجاحظ ما جاء به اللسان من قول أدى الوظيفة التواصلية و حصول البيان و قد " قال صاحب المنطق (\*) حد الإنسان الحي الناطق الميت " (4) و يوضح ذلك حلمي خليل بأن يعطي مفهوم المصطلح بقوله " و هو مصطلح عند الجاحظ يعادل

(1)- المرجع نفسه :ص 1.

(2)- الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 57 .

(3)- حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 267.

\*- صاحب المنطق : نعني به أرسطو الفيلسوف اليوناني و قد ألف كتاب في المنطق و علله ، انظر البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 57.

(4)- الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 57.

مصطلح اللغة المنطوقة SPOKEN LANGUAGE في اصطلاح علماء اللغة الآن فاللفظ هو ما أختص به الإنسان دون الحيوان " (1).

### 3-2- الإشارة :

و هي أسلوب من أساليب التعبير لها دلالتها الخاصة عند الجاحظ فقد عبر عنها بقوله " فأما الإشارة باليد و العين و الحاجب و المنكب إذا تباعد الشخصان و بالثواب وبالسيف ، و قد يتهدد رافع السوط و السيف فيكون ذلك زاجرا رادعا و يكون وعيدا و تحذيرا" و يفسرها علي بوملحم موضحا معناها بقوله " و هي عنده تعادل الحركة الجسمية و عي الحركة الصادرة عن الجوارح أو عن شيء ، آخر و التي تعبر عن مقاصد الإنسان " (2) والمصاحبة للعملية الكلامية " فالإشارة و اللفظ شريكان ، و نعم العون هو له و نعم الترجمان هي عنه و ما أكثر ما تتوب عن اللفظ و ما تغني عن الخط " (3) و تمثلها في قوله " الإشارة و بالطرف و الحاجب و غير ذلك من الجوارح مرفق كبير و معونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس عن بعض و يخفونها عن الجليس و غير الجليس "

فالإشارة وسيلة من وسائل الاتصال و التفاهم بين بني البشر و قد قال الشاعر في دلالات الإشارة :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور و لم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا و أهلا و سهلا بالحبيب المتيم

### 3-3- الخط :

هي وسيلة المستعان بها للتعبير عن المعاني بواسطة الحروف " فالخط هو وسيلة الكتابة و تدوين المعارف و حفظها على الأجيال و بهذا السبب كان أفضل من اللفظ لأنه أبقى أثرا بينما اللسان أكثر هذرا " (4) .

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 267.

(2) - علي بوملحم : المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، ص 377.

(3) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج1، ص 57 .

(4) - علي بوملحم : المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، ص 378 .

و كما يقول حلمي خليل " الخط و يعادله مصطلح اللغة المكتوبة *written language* عند علماء اللغة " (1) فالخط أحد أنواع الدلالات و الصياغات الاتصالية و التوصيلية بين بني الإنسان و أقوى الدلالات حفظا و محافظة فيعبر أبو عثمان في فضل القلم فيقول "القلم أبقى أثرا و اللسان أكثر هذرا " (2) و يضيف في فضل الخط على فضل اللفظ " اللسان مقصور على القريب الحاضر و القلم مطلق في الشاهد و الغائب و هو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن " .

### 3-4- العقد :

و يعرفه الجاحظ قائلا : " و أما القول في العقد و هو الحساب دون اللفظ و الخط " و يعبر عنه علي بوملحم بمفهومه الخاص فيقول : " العقد هو الحساب نفسه و له أهمية عظيمة في حياة الناس و عليه تركز علوم جليلة الشأن مثل علم الرياضة و علم الفلك " (3) و يركز في ذلك على الجانب الديني " لولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز و جل معنى الحساب في الآخرة " (4) و فضل في معنى الحساب في كتابه *ع الحيوان* إذ يقول : " و بالحساب تعرف منازل القمر و حالات المد و الجزر و كيف تكون الزيادة في الأهلة و أنصاف الشهور و كيف يكون النقصان في خلال ذلك و كيف تكون تلك المراتب و الأقدار " (5).

### 3-5- النسبة :

فهي " الحال الناطقة بغير اللفظ و المشيرة بغير اليد و ذلك ظاهر في خلق السموات و الأرض و في كل صامت و ناطق و جامد و نام و مقيم و ضاعن و زائد و ناقص " (6) فهي دلالات تعبير عن معان كامنة في الموجودات التي منّها الله عز و جل في هذا الكون و المعربة عن قوة الله و عظمتة و المتجلية في كل دابة و كل جماد فهي " معنى دون

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 268.

(2) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 57.

(3) - علي بوملحم : المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، ص 379.

(4) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 59.

(5) - الجاحظ ، *الحيوان* ، ج 1 (ط 1) ، تحقيق عبد السلام هارون ، شركة مكتبة و مطبعة البابا الحلبي و أولاده مصر 1965م ، ص 47

(6) - محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ ، ص 78.

لفظ<sup>(1)</sup> " و لذا " فهذه الوضعية أو هذه الحال للأجسام هي التي تقوم مقام أدوات التعبير الأخرى كاللفظ و الإشارة و غيرها " ، و قد اختصرها الجاحظ حين قال " و لذلك قال الأول : سل الأرض فقل من شق أنهارها و غرس أشجارها و جنى ثمارها ؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا " (2)

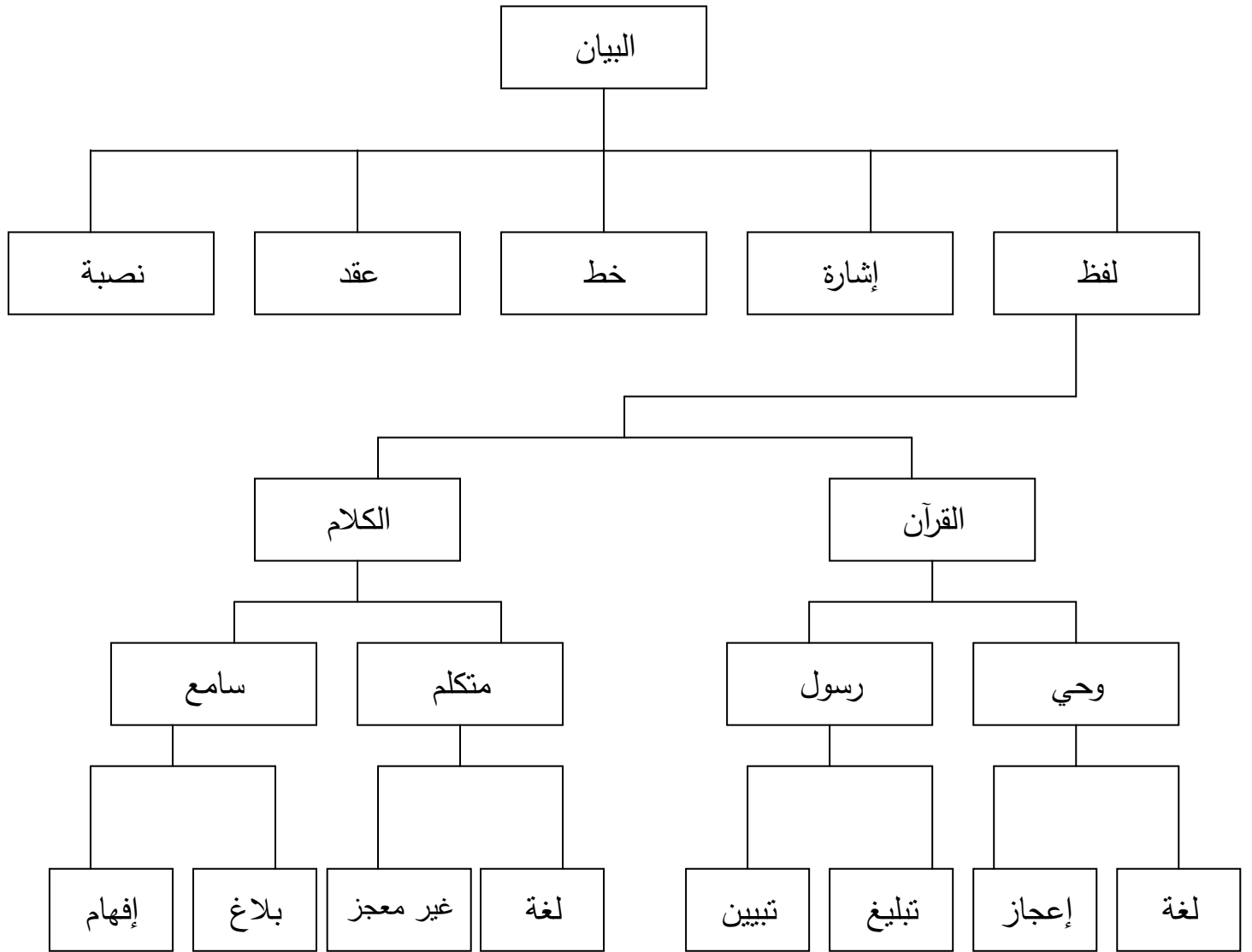
فالدلالة في هذه الأخيرة دلالة تحملها الأشياء في كيانها و تتصل مع الإنسان اعتبارا و تأملا .

أي أن الصورة العامة لعملية الاتصال طبقا لمفهوم البيان عند الجاحظ بما لها من صلة بالقرآن تصبح على النحو الآتي : (3)

(1) - الجاحظ البيان و التبيين ، ص 60.

(2) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1، ص 60.

(3) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 270.



فمن خلال هذا التصور أراد الجاحظ استقراء العلاقات الاتصالية لتحقيق البيان القرآني و من ثم ينزل إلى البيان في صورته الإنسانية " وفق هذه المعايير و صلتها بنظم الكلام ينحدر الجاحظ من مثالية البيان القرآني إلى الكلام الإنساني و تنوعه و اختلافه و كل ذلك في إطار نظريته العامة في علاقة اللغة بالاتصال و التبليغ أو تصوره للبيان و صلته بإعجاز القرآن ، و كلام الناس أو كما أسماه " البيان باللسان " (1) .

فالبيان باللسان هو أولى الدلالات المدرجة من الدلالات الخمس و ما اصطلح عليها باللغة المنطوقة أو الحدث الكلامي و حدوث اللفظ لا يحصل إلا عن طرق الصوت ، هذا الأخير افرد له الجاحظ موضوعات شتى متفرقة في كتابه " البيان و التبيين " معالجة وتحليلا للظاهرة الصوتية و أثرها في الحدث الكلامي أو اللغة كأداة للتواصل الإنساني والاجتماعي .

#### رابعا - الجاحظ و الدراسة الصوتية :

عالج أبو عثمان محور الصوت بدقة لما له مكانة في الصياغة اللغوية و أثرها في التواصل الإنساني فيعرفه قائلا " الصوت هو آلة اللفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع و به يوجد التأليف و لن تكون حركات اللسان لفظا و لا كلاما موزونا و لا منثورا إلا بظهور الصوت و لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع و التأليف " (2) ، و تكمن خلفية التصور لحصول الحدث الكلامي عند الجاحظ في الأصوات و لا تكون هذه الأصوات التي يصدرها الجهاز النطقي الإنساني مجرد هتافات تطلق جزافا و إنما أصوات مؤلفة مرتبة يفهم منها معنى لكلام أو لغة كما يقول ابن فارس : زعم القوم " أن الكلام ما سمع و فهم " (3) و قال قوم " الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى " (4) فالجاحظ كان على دراية كافية بكيفية حصول المبتغى الكلامي بطريقة عملية صاغها صياغة لغوية يستطيع من خلالها إدراك الحقائق الضمنية للتواجد الكلامي " فتصور الجاحظ للغة لا يختلف كثيرا في شكله في شكله ومضمونه عما وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة ، و أساس هذا التصور أربع دعائم

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص271.

(2) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج1، ص58.

(3) - أحمد ابن فارس : الصحابي في فقه اللغة العربية وسائلها و سنن العرب في كلامها ، ص47 .

(4) - المرجع نفسه ، ص47.

هي الصوت و التقطيع و التأليف و الفصاحة " (1) . فعلم اللغة الحديث الذي يتخذ اللغة موضوعا له يتوافق و الفكر اللغوي عند الجاحظ إذ أن هذا العلم يدرس " اللغة التي تقوم على ربط مضمونات الفكر الإنساني بأصوات ينتجها النطق أنها لغة تقوم على إصدار واستقبال أصوات تحدثها عملية " الكلام " فالأصل في اللغة أن تكون كلاما " (2) ، إذ أن المفهوم الحديث للدراسة اللغوية يتوافق مع المفهوم الجاحظي في الحقيقة التحليلية للعملية الكلامية ، و لعل الدعائم التي فصل فيها أبو عثمان إن كانت من اختصاصات متعددة في العلوم الحديثة الخاصة بالدراسات الصوتية أو ما يصطلح عليها بعلم الأصوات الذي يدرس كفاءات الصوتية و دراسة الأصوات الكلامية وفق التصنيفات الآتية :

أ- إحداث الصوت من حيث الاستعدادات و يتناول هذا الجانب علم الأصوات النطقي .

ب- بنية الأصوات و في طريقها إلى أذن السامع ( علم الأصوات السمعي )

ج- العمليات النفسية للعصبية التي لها صلة بإدراك الأصوات ( علم الأصوات العصبي ) (3)

فالجاحظ يدرك إدراكا تاما بالعملية الفيزيولوجية و الفيزيائية القائمة في الجهاز النطقي للإنسان في إصدار الصوت و كيفية إيصاله من رموز غير دلالية إلى دلالات و صياغات لغوية ذات معنى و مفهوم، بالتقطيع و التأليف و هو بذلك " يدرك جانبيين من جوانب النظام اللغوي ، و هما الصوت و المعنى أو ما يطلق عليه علماء اللغة ثنائية التركيب بعبارة أخرى أن الجاحظ كان يدرك أن اللغة تتألف من الأصوات المنطوقة و المسموعة ، ثم المعنى كما في الشعر و النثر أو الكلام الموزون كما قال " (4).

فالصوت هو أداة لحصول اللفظ و هذه حقيقة ثابتة لا يختلف فيها اثنان ، فلا وجود للثاني دون حصول الأول فاللفظ يفهم القصد و يحصل المراد و شدة وقع اللفظ في النفس أو القلب مرهون بقوة الصوت " فمن المعروف أن قوة اللفظ ترجع إلى قوة الأصوات التي يتكون

(1)- محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ ص109.

(2)- محمود السعمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص55.

(3)- محمد محمد يونس علي : مدخل إلى اللسانيات ، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ليبيا ، 2004 ، ص15.16 .

(4)- حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص273.



منها و أن من المحال وجود لفظ يتمتع بالشدة أو القوة دون أن يكون مرجع ذلك إلى أصواته و أدائه " (1)

فإذا كانت " اللغة " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (2) فهي أيضا أداة للتعريف بانتماءات الشعوب و انتسابها لأنها أمانة مرجعية للدراسات هي الأداة الكاشفة عن الفكر الاجتماعي و ثقافته و حضارته فالصوت وسيلة لتحقيق هذه الغاية فلا وجود للغة دون أصوات و قد اهتم الجاحظ بالظاهرة الصوتية لما له من دواع تمليها الحقيقة الواقعية أو الحقيقة العلمية للجانب اللغوي .

#### 4-1- مخارج الأصوات و وظائفها :

غاص الجاحظ في الأصوات اللغوية محددًا مخارجها و وظائفها التركيبية كما يسميها التأليفية و أسباب حدوثها بدقة مبينا حقيقتها العلمية للتقطيع الصوتي بوصف المخارج فيقول في مخرج الصاد: " فأما الصاد فليس نخرج الا من الشدق الأيمن إلا أن يكون المتكلم أعسرا يسر (\*) " (3) و وقف عند الميم و الباء و ذلك بقوله " الميم و الباء أول ما يتهيا في أفواه الأطفال كقولهم ماما و بابا لأنهما خارجان عن عمل اللسان و إنما يظهران بالتقاء الشفتين "

و انتقل أيضا في عرض الحدث الصوتي و كيفية مساهمته المواء في إحداثه و رصد دور النفس في عملية النطق قوله " و كذلك الأنفاس مقسومة على المنخرين فحالا يكون الاسترواح و دفع البخار من الجوف من الشق الأيمن و حالا من الشدة الأيسر و لا يجتمعان على ذلك في الوقت إلا أن يستكره ذلك مستكره أو يتكلف متكلف فأما إذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن إلا كما قالوا " (4) ، فالجاحظ يعي عملية حدوث الأصوات و تألفها لحصول اللغة التي تقوم بين المتكلم و السامع و أن الكلام يحدث نتيجة دخول الهواء و خروجه في الجوف ثم مروره بأعضاء النطق التي تقوم بالتقطيع و التأليف و إنتاج

(1) - عيسى عودة برهومة ( تمثلات اللغة و المجتمع في البيان و التبیین ) المجلة الجامعية الهاشمية ، الأردن ، دت ،

ص8، [www.philadelphia.edu.jo/Library/200/210/Ar/ISLAM\\_AR.HTM](http://www.philadelphia.edu.jo/Library/200/210/Ar/ISLAM_AR.HTM)

(2) - ابن جني : الخصائص ، ج1 ، ص33

\* - الأعسر اليسر : هو من باستطاعته العمل بكلتا يديه

(3) - الجاحظ البيان و التبیین ، ج1 ، ص48

(4) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج1 ، ص48.

الصياغات اللغوية ذات المعاني المختلفة و يطلق عالم اللغة الحديث " فندريس " الصوت وكيفية حدوثه فيقول " أن ما يسمى صوتا هو الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات الذبذبة للهواء و الذبذبات في اللغة يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم و العلم الذي يبحث في الأصوات أو بعبارة أخرى ، علم الصوتيات يجب أن يشمل على ثلاثة أجزاء الجزء الخاص بإنتاج الصوت و الجزء الخاص بانتقاله و الجزء الخاص باستقباله ، فالإنتاج و الاستقبال ظاهرتان متساويتان الأهمية في اللغة ، إذ انه يجب لتكون هناك لغة أن يوجد متحدثان على الأقل و أن يوجد الكلام مقصودا به أن يسمع " (1)

و تجاوز " أبو عثمان " التفصيل و وصف العملية الكلامية إلى الفصل في أسباب عيوب النطق الناتجة عن اختلال في بعض أعضاء الجهاز النطقي " و في لفظة ذكية من الجاحظ استطاع أن يدرك أن الجهاز الصوتي يتكون من أعضاء ثابتة و أخرى متحركة وذلك حين أشار إلى أن أي إصابة في الأسنان أو بعضها يؤدي إلى اضطراب في إنتاج الأصوات " (2) فقال " إذا كان في اللحم الذي كان فيه مغارز الأسنان تشمير (\*) و قصر سمك (\*) ذهبت الحروف و فسد البيان و إذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه (\*) و لم يمر في هواء واسع المجال و كان لسانه يملا جوب فمه لم يضره سقوط أسنانه إلا بمقدار المفتقر و الجزء المحتمل (3)

و قد نشأت الدراسات اللغوية العربية بعامة و الدراسة الصوتية خاصة نتيجة لاحتياجات علمية تتصل بتلاوة القرآن الكريم و تفهم أحكامه ثم تعليم العربية لمن دخل الإسلام من غير العرب " (4)

(1) - فندريس : اللغة ، ص 43.

(2) - عيسى عودة برهومة : (تمثلات اللغة و المجتمع) ، ص 11 .

\* - تشمير : التقصص .

\* - سمك : ارتفاع .

\* - يصكه : يصطدم به .

(3) - المرجع نفسه ، ص 47-48.

(4) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 24.

و من ثم يكون الجاحظ من العلماء السابقين الذين أسسوا للدراسات الصوتية من جانبها الأكوستيكي و الفيزيائي ، و دراسة الخصائص الصوتية لدراسة جهاز النطق الإنساني " علم الأصوات الفسيولوجي " كما تحدث و أدرك الأبعاد و الحبسة و مصطلح عليها بالآفازيا - و العقلة و الحصر و الحلتكة مستعينا بأمثلة لذلك .

و خلاصة القول أن الجاحظ أدرك حقيقة النظام اللغوي و أسس قواعد علمية لمستويات اللغة " و بهذا تكتمل نظرية " البيان باللسان عند الجاحظ بشقيها الاتصالي والتحليلي و قد جرد ABSTRACTED هذه النظرية وفق أصول علمية من ملاحظاته الواسعة للغة العربية و اللغات الأخرى " (1)

#### خامسا / التنوع اللغوي و سياق الموقف :

يدرس علم الاجتماع اللغوي العلاقة التفاعلية بين اللغة و المجتمع و مدى التأثير المتبادل بين البنى اللغوية و الاجتماعية ، و لما كانت اللغة نظاما اجتماعيا لها دلالاتها الخاصة و أساس ترتكز عليه البنى الاجتماعية كان على العالم المختص - عالم اللسانيات الاجتماعية - أن يخوض في الوقائع الاجتماعية و يحللها و يبحث في ظواهرها عن طريق عملتين يقوم بهما كما حددهما " هدسون" في كتابه علم اللغة الاجتماعي ، الأول عمل ميداني و يتمثل في خروج الباحث إلى الميدان و دراسة الوقائع الكلامية للمتكلمين و تنوع السلوكات اللغوية أو بالأحرى واقع الحياة اليومية للنمط اللغوي لدى الأفراد داخل الجماعات أي جمع المادة أما العملية الثانية فاختصت بتحليل المادة و تصنيفها و استقرائها " و تلعب الخبرة الشخصية لهذا العالم دورا بارزا في جمع المادة اللغوية من ناحية و دراستها و تحليلها من ناحية أخرى ، و ذلك في إطار مفاهيم نظرية واضحة و دقيقة حول اللغة و طبيعتها والعناصر المكونة لها و وظيفتها الاجتماعية و علاقة ذلك بالمتكلم و السامع من أبناء اللغة أو من غيرهم ممن يتكلمون هذه اللغة و يعيشون في المجتمع و ليسوا من أبناءه" (2)

و الجاحظ احد هؤلاء العلماء القدامى الذين خاضوا في الدراسات التحليلية للغة وحقائقها لما له خبرة واعية ومعارف كافية وملاحظات كثيرة مخصصة ودقيقة حول اللغة

(1) - المرجع نفسه ، ص276.

(2) - هدسون: علم اللغة الاجتماعي ص1\_6 نقلا عن حلمي خليل .دراسات في اللغة والمعاجم،ص277.

وأصناف دلالتها وتعد مقاماتها ومواقفها، فأبو عثمان "كان يدرك بصورة جلية طبيعة التركيب الطبقي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي في عصره، وخاصة في البصرة حيث ولد وعاش معظم حياته، وكذا طبيعة العناصر البشرية المكونة لهذا المجتمع من الناحيتين الاجتماعية والغوية، يضاف إلى ذلك خبرته الواسعة بالحياة الاجتماعية والعلمية والفكرية في عصره"<sup>(1)</sup>

وتبدو آثار بصمات الفكر والثقافة والعلم والأدب حبيسة التأليف في أعمال الجاحظ الأدبية والفنية والعلمية وتدل دلالة واضحة على الدراسة القائمة بين اللغة والمجتمع وكذا صور التباين والتنوع اللغوي والاجتماعي. "وهي تدل على شعور واضح عنده بمدى الارتباط بين البنية الاجتماعية، لأن الجاحظ يضع "البيان باللسان" في قمة وسائل البيان وآلاته، ولأن وظيفة اللغة عنده هي البيان سواء كان معجزا مثل القرآن أم كان من كلام البشر فقد اخذ في دراسة هذا التنوع اللغوي في إطاره الاجتماعي محلا و مفسرا له راصدا أسبابه وعلله اللغوية والاجتماعية"<sup>(2)</sup>.

انغمس الجاحظ في كفيات التبادل اللغوي الاجتماعي ليتخذها مقياسا يلتزم به لمستويات لغوية وفق فئات وطبقات اجتماعية مفصلا في جوانب الصياغات اللغوية والألفاظ المتداولة بين هذه الفئات المختلفة طبقا للمتكلمين بها فيقول أبو عثمان في ذلك: "لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فان الوحشي ن الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي"<sup>(3)</sup>

كان الجاحظ واثقا في تحديد معيارية التداول اللغوي لحصول البيان بين المتكلمين هدفه التنبيه على اختيار الألفاظ الكلامية واختيار مواضعها، وتجنب الغريب منها لتحقيق الأغراض والمقاصد الاتصالية، لان المجتمع تتفاوت طبقاته يحتاج إلى تقويم واع وتنوير مستمر للممارسات اللغوية في الحياة اليومية وأبو عثمان يترصد ذلك قائلا: "إن كلام الناس

(1) - حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، ص 278.

(2) - المرجع نفسه : ص 279.

(3) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج ص 95.

في طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات فمن الكلام الجزل والسخيف و المليح والحسن والقيح والسميح و الخفيف و الثقيل وكله عربي و بكل قد تكلموا و بكل قد تمارحوا وتعابوا" و هو بذلك يعد و يصور جوانب مختلفة و متفرغة عن الممارسات الكلامية المتداولة في اليوميات الاجتماعية و هو " جانب تعبيرى يقوم على ملاحظة دقيقة لكلام الناس و ما يصاحب هذا الكلام من عادات و ظواهر فطن (الجاحظ) إليها و أولها نصيبا من عنايته"<sup>(1)</sup>, فلكل فرد تعبيره الخاص و لكل قاموسه اللغوي و ألفاظه الخاصة و تعبيره وطريقة صياغاته للمواقف.

وقصد الجاحظ من ذلك توضيح موقفه من الاضرب الكلامية وأساليبها المتنوعة وإمكانات اللغة كظاهرة اجتماعية للأداء التعبيري بين الفئات الاجتماعية بمستوياتها "فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ،حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"<sup>(2)</sup>

وقد ساق الجاحظ قانونا عاما لنظرية السياق للسانيات الاجتماعية مفاده أن "لكل مقام مقال" يختصر علينا كثيرا لما قال به المحدثون عرب و أجانب فهذه المقالة تحدد مدى أهمية السياق أو المقام في بيان دلالة العلمية اللغوية"<sup>(3)</sup> وقد نقل بشر بن المعتمر قوله "والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني خاصة.وكذلك ليس يتضح بان يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال"<sup>(4)</sup>

يلزم الجاحظ ضرورة مناسبة الكلامي و الموقف الذي وضع من أجله، و إليه سعى القصد وتحقيق المنفعة و المغزى الذي آل إليه" فلكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من اللفظ" و "إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم و الحمل عليهم

(1) - هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي، ص 179.

(2) - الجاحظ: البيان و التبيين، ج ص 92.

(3) - هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 227.

(4) - الجاحظ، البيان والتبيين ج 1 ص 91.

على أقدار منازلهم" (1) "وقد تحدد المعنى في ذلك لما تضمنه نص ابن فتيية في كتابه "أدب الكاتب" "على قدر الكاتب و المكتوب إليه ألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس خسيس الكلام" (2).

و بهذا التصور فالجاحظ يحلل الظواهر اللغوية تبعا للأنماط الثقافية والفكرية ومستوياتها و أنواع الجماعات بطبقاتها وفئاتها "فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما" (3) كما سبق الذكر ويقول أيضا "فان كان الخطيب متكلمًا تجنب الفاض المتكلمين كما انه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الألفاظ به الفاض المتكلمين، إذا كانوا لتلك افهم و إلى تلك الألفاظ أميل، واليها أحق وأشغف" (4)

فصياغة النص التي أقامها الجاحظ كانت وافية لتوضيح ضرورة قيام الموقف التواصلية وأنماط الحال الذي به يتحدد الغرض فقد أكد الجاحظ ألا نكلم الآخرين إلا بما يفهمونه، و ما أبو على استعماله في تواصلهم، فان التواصل السليم ما يتم بواسطة ما هو شائع في عرف الجماعة الناطقة، بغض النظر عن صحته قياسا إلى النظام اللغوي العام المقرر في اللغة المعينة، و لقوم أو امة معينة" (5).

إن التفات أبي عثمان لهذه المواضع و التبصر في أغوار البنى الاجتماعية و تحليل تبايناتها وروابطها بالصياغة اللغوية دليل على ثقافته الواسعة ورؤاه الواضحة للمكونات الاجتماعية و الأنماط الثقافية و الفكرية ، فأبو عثمان يعرب عن التباين الفكري و العلمي لكل فئة من فئات المجتمع و أساليب تبادلاتهم التواصلية ومناسباتها .

(1) - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 92.

(2) - ابن فتيية ، أدب الكاتب ، تح محي الدين عبد الحميد (ط4) ، دار الجيل بيروت ، 1963م، ص 14.

(3) - الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ، ص 92.

(4) - هادي، نهر: علم اللغة الاجتماعي، ص 182، 183 .

(5) - حلمي خليل دراسات في اللغة و المعاجم، ص 281.

من خلال هذه الخبرة وهذا التنوع المعرفي "استطاع الجاحظ أن يضع قانونا عاما من قوانين علم اللغة الاجتماعي"<sup>(1)</sup> بشي بالتنوع اللغوي .

كما أن الجاحظ لا يتناقض و الآراء العلمية الحديثة في منهجها لدراسة جانب السياق اللغوي لاعتماده التجربة و الملاحظة و الاستقراء الناتج عن الخبرة " إن اللسانيات التي ظهرت في الفترة ما بين 1930م و 1960م ألحت على الجانب الذي يعتمد التجربة والملاحظة Emprical or observation aspect و قد افتنن بهذا المنهج أولئك الذين يطمحون إلى إقامة دلالية مثالية مبنية على مبادئ الوضعية العلمية "

لم يخضع أبو عثمان الحدث الكلامي أو السياق اللغوي لمنهج علمي معين و إنما إفادته الخبرة و القريحة و التجربة لذلك ، فأنغمس في الكشف عن علاقات البنى العربية والبنى الاجتماعية و معرفة إمكانات اللغة على التعبير في حدود الأطر الاجتماعية والمعاني المتداولة " فإذا درسنا المعنى في حدود الأفكار و المتصورات و الحالات العقلية الداخلية فإنه لا يتسنى لنا إخضاعه للملاحظة العلمية و من هنا ينبغي علينا دراسة المعنى في إطار الموقف و الاستعمال و السياق و هذا ما يعرف بالمنهج العلمي أو السياق " <sup>(2)</sup> على حد تعبير أحمد مومن .

### 5-1- أدب الضيافة عند العرب :

اهتم الجاحظ بالمعاملات الاجتماعية التي تعبر عن الطبائع الفكرية و الأخلاقية والعرفية للمجتمع العربي ، و ذلك من خلال الممارسات اليومية لحياة الأفراد و الجماعات مصورا أدق التفاصيل التي تعني بالسلوكات و الممارسات و طرق التفاهم و التواصل بين هذه الأفراد و من أهم المسائل التي عني بها أبو عثمان مسألة الضيافة و هي من الأمور التي اشتهر العربي بحسن التعامل فيها و إكرام المضيف . فيصف الجاحظ ذلك قوله " ولأن العرب تجعل الحديث و البسط و التأنيس و التلقي بالبشر من حقوق القرى و من تمام الإكرام و قالوا إتمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة و إطالة الحديث عند المؤكلة و قال شاعرهم حاتم الطائي :

(1) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص95 .

(2) - أحمد مومن : اللسانيات النشأة و التطور ، ص242.

سَلِي الجَائِعِ العَرَثَانِ (\*) يَا أُمَّ مُنْذِرِ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي  
هَلْ أَبْسَطُ لَهُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوْلُ القَرَى وَأَبْذَلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي (1)

و قال آخر :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله فيخصبُ عندي والمكانُ جديبُ  
وما الخصبُ للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجهُ الكريم خصيبُ (2)

و تعد هذه المعاملات و الممارسات - كرم الضيافة - ذات دلالات لغوية تشي بالفكر الثقافي و العرفي الاجتماعي و الديني للأفراد داخل الحيز الاجتماعي المعين و توحى بأخلاق العرب ذلك " أن أخلاق سلوكات فردية في المحصلة إلا انها أيضا خلاصة القيم التي يحملها المجتمع و تبيانها ، و هي في الوقت ذاته واحدة من نتائج العلاقات القائمة في هذا المجتمع أو ذاك في مرحلة زمنية معينة و هذا يعني أنه من المنطقي تماما أن تتغير المنظومة الحاملة للمجتمع و التي يحملها المجتمع تبعا للظروف المرحلية و التاريخية التي يعيشها المجتمع بمختلف حواملها الفكرية و العلمية و السياسية و الاجتماعية " (3).

و يعد أدب المائدة من الممارسات التي عرضها الجاحظ و ارسى قواعد هذه بالعادات معربا عنها في كيفية التعامل مع الوضعيات المختلفة فيما يخص هذه القضية مستعينا بأخلاق الرسول صلى الله عليه و سلم فيقول في ذلك : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض و يجلس على الأرض و يلبس العباءة و يجالس المساكين و يمشي في الأسواق و يتوسد يده الشريفة و يقص من نفسه و يقطع أصابعه ، و لا يأكل متكئا ولم تر قط ضاحكا ملء فيه " (4)

\* - الغرثان : شدة الجوع.

(1) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج1 ، ص13.

(2) - المصدر نفسه ، ج1 ، ص14.

(3) - عزت السيد أحمد : فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2005 ، ص111.

(4) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج2 ، ص250.



أراد أبو عثمان من خلال هذا تبيان الأخلاق الحميدة التي يلتزم بها سيد الخلق أجمعين و هو قدوة لمن يقتدي به من أخلاق و آداب و هي سمات اتصفت بها العرب دون غيرها من الأقاليم فوصفت بسمو الخلق و رفعة الأدب في مواقف مختلفة .

# الفصل الرابع

## التغير اللغوي عند الجاحظ

1. مبدأ التغير اللغوي و أسبابه

2. اللحن و الحدث الكلامي

3. اللفظة

4. اللهجات الاجتماعية

## 01- مبدأ التغير اللغوي و أسبابه :

تتعرض اللغة في المجتمع لتأثيرات داخلية و أخرى خارجية تبعا لمستجدات المواقف و الظروف المختلفة فتكسب ألفاظ و تفقد أو تسقط عنها أخرى " فمن المبادئ النظرية التي يؤمن بها الجاحظ أيضا أن اللغة بما لها صلة بالمجتمع خاضعة لمبدأ التغير اللغوي language change فاللغة عنده لا تثبت على حال ، و إنما تتغير طبقا لحاجات المتكلمين بها سواء بتأثيرات داخلية أو خارجية عنه و الدليل على ذلك تغير اللغة العربية وإسقاطها لكثير من الألفاظ الجاهلية التي لم تعد تعبر عن المفاهيم الإسلامية ، أو التي لا تتوافق مع الفكر الإسلامي " (1).

ينحدر الجاحظ من النظر في الحدث الكلامي للغات العامة ليختص بالعربية الفصحى ليبيدي إعجابه بلغة الأعراب إذ يقول " إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع و لا أنصح أنق و لا ألد في الأسماع و لا أشد اتصالا بالعقول السليمة و لا أفتن للسان و لا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء العلماء البلغاء " (2) ففي كلام أبو عثمان إشارة إلى أن الأعراب منبع و أصل اللغة العربية و أصل البلاغة والفصاحة " ذلك أن جزيرة العرب منبع اللغة العربية و مولد الإسلام ، و العرب هم الذين حملوا لغتهم معهم حيث يسكنون ، و حيث يفتحون ، و محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عربي و القرآن عربي ، و دعاة الأمم الأولون إلى الإسلام عن من الواضح بعد ينسب الدين و اللغة و ما لهما من فضل إلى العرب أن نسمي ما نتج عنهما ثقافة عربية" (3).

و من ثم فالجاحظ يصف سمو المستوى و رقي الخطاب لكلام العرب الأقيام فيقول: و لم أجد في خطب السلف الطيب و الأعراب و الأقيام ألفاظ مسخوطة و لا معاني مدخولة و لا طبعاً رديئاً و لا قولاً مستكرهاً و أكثر .

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم : ص 280-281.

(2) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 96.

(3) - أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج 1 ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997 م ، ص 307.

ينحدر الجاحظ من النظر في الحدث الكلامي للغات العامة ليختص باللغة العربية خاصة لغة الأعراب و ذلك " بإقامة شبكة من العلاقات بين الفصحى أو لغة الأعراب يسميها أحيانا اللهجات الاجتماعية و الإقليمية التي انبثقت من العربية خاصة بعد الفتح الإسلامي و انتشار العربية بين أمم و شعوب لم تكن العربية لغتها الأم" (1) فيقول : " إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع و لا أنصح أنق و لا أذ في الأسماع و لا أشد اتصالا بالعقول السليمة و لا أفتن للسان و لا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء العلماء البلغاء" (2) .

فالجاحظ يعرب عن إعجابه الكبير و اعتزازه بلغة الأعراب لما يجد فيها من متعة في سلاسة ألفاظهم و دقة معانيهم و أناقة أسنتهم، فصاحة و بلاغة إذ يعدها أولى اللغات منزلة و أناقة و أرقاها خطابا مما جعل " علماء اللغة يعملون جهدهم في الأخذ عن الأعراب و يجتهدون في وضع الصيغة التي يفهمها الأعرابي " (3) ذلك أن الأعرابي ابن جزيرة العرب " و جزيرة العرب منبع اللغة العربية و مولد الإسلام و العرب هم الذين حملوا لغتهم معهم حيث يسكنون و حيث يفتتحون و محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم عربي و القرآن عربي ، و دعاة الأمم الأولون إلى الإسلام عن فم الواضح بعد ينسب الدين و اللغة و ما لهما من فضل إلى العرب أن نسمي ما نتج عنهما ثقافة عربية" (4) .

في الحق أن أبو عثمان يفتخر بسمو المستوى الدلالي و رقي الخطاب اللساني المتداول بين العرب الخالص قائلا : " و لم أجد في خطب السلف الطيب و الأعراب الأفيحاح ، ألفاظا مسخوطة و لا معاني مدخولة و لا طبعاً رديئاً و لا قولاً مستكرها ، و أكثر ما تجد ذلك في خطب المولدين و في خطب الدين المتكلفين ، و من أهل الصبغة المتأدبين سواء كان ذلك منهم من جهة الارتجال و الاقتضاب (\*) أو من نتاج التخير و التفكير (5) ففي نص الجاحظ اعتزاز و فخر بلغة الأعراب و إشارة إلى عدم بقاء اللسان العربي على حاله

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم : ص 281.

(2) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 96.

(3) - أحمد أمين : ضحى الإسلام : ج 1 ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997 ، ص 310.

(4) - المرجع نفسه، ج 1 ، ص 307.

\* - الاقتضاب : تقصير الكلام

(5) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 241.

لما اعترضه من فساد نتيجة عوامل طرأت عليه فأنسلخ عن أصوله أهمها وفود الأعاجم إلى بلاد العرب ( حروب ، هجرات ، تجارة ، فتوحات إسلامية ... ) فقد " كانت جزيرة العرب قبل الإسلام قليلة الاتصال بمن حولها و بما حولها و خاصة سكان أواسط الجزيرة ، فلما جاء الإسلام و فتحت الفتوح ، كان لذلك آثار في اللغة متعاكسة ، فمن ناحية ، انتشرت اللغة العربية في البلاد المفتوحة في مصر و الشام و العراق و فارس و السند "(1) وأصبحت شبه الجزيرة العربية " مقصد المسلمين كلهم في الحج " مكة " ، فكان الناس من الأعاجم يأتون أفواجا للحج أحيانا و لقضاء مصالحهم في حاضرة الخلافة أحيانا ، و عرب الجزيرة بحكم الفتح قد ملكوا رقيقا كثيرا سكنوا مع سادتهم في الحجاز و غيره ، فاختلط العجم بالعرب في البيوت و الأسواق و في المناسك و في المساجد فتطرق من ذلك الخلل في لسان العرب و كانوا يتكلمون العربية عن السليقة فأخذ الفساد يدب في تلك السليقة و ظهر اللحن"(2).

و لعل هذا الأخير من أهم الأسباب التي جعلت اللغة منحنى تسلك منحى تطوريا فمن المعروف " أن اللغة تتأثر في تطورها و ارتقاءها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف:

( احداها ) انتقال اللغة من السلف إلى الخلف

( و ثانيها ) تأثر اللغة بلغة أو لغات أخرى

( و ثالثها ) عوامل اجتماعية و نفسية و جغرافية كحضارة الأمة و نظمها و عاداتها و تقاليدها و عقائدها و ثقافتها و اتجاهاتها الفكرية و مناحي وجدانها و نزوعها و بيئتها الجغرافية .... و ما إلى ذلك .

( و رابعها ) عوامل أدبية مقصودة تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة و ما تبذله معاهد التعليم و المجامع اللغوية و ما إليها في حمايتها و الارتقاء بها... هَلَمْ جِرا "(3).

(1) - أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج2 ، مكتبة الأسرة برعاية السيدة سوزان مبارك ، مصر ، 1997 ، ص248.

(2) - المرجع نفسه ، ج2 ، ص251-252.

(3) - على عبد الواحد وافي : علم اللغة ، ص249.

## 02- اللحن :

مصطلح اللحن من المصطلحات الأساسية التي وقف عندها الجاحظ لما لها آثار في التطور اللغوي " و هو عنده مصطلح عام collective lerm للدلالة على الخروج على الأوضاع العربية البدوية أو عربية العرب الخالص ، سواء في الصوت أو الصرف أو النحو أو الدلالة أو فيها جميعا " (1) أي أن اللحن يحدث نتيجة تجاوزات في القانون التأسيسي العرفي اللغوي بمستوياته ، سببها تأثيرات داخلية و أخرى خارجية يفرضها الواقع المعيش الناتج عن احتكاك الأجناس و السلالات ببعضها لأغراض و منافع اقتصادية، سياسية دينية و في هذا يقول الجاحظ " ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم و لذلك يسمون البطيخ الخبر و يسمون السميط الروذق و يسمون المصوص المزور و يسمون الشطرنج الأشترينج إلى غير ذلك من الأسماء " (2) و قوله أيضا " و أهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب و بذلك نجد الاختلاق في ألفاظ أهل الكوفة و البصرة و الشام و مصر " (3)

من هنا يبدو أن اللغة تتأثر و مدلولاتها تبعا لاحتكاك الذي يحدث بين اللغتين فتكتسب إحداها ألفاظا تدخل ضمن قاموسها اللغوي و تسقط عنها أخرى هذه الأخيرة ربما لعدم تداولها أو التفريط فيها لأسباب و أغراض معينة " ذلك لأن إحتكاك اللغات ضرورة تاريخية و احتكاك اللغات يؤدي إلى تداخلها " و من هذا ما يوضحه أبو عثمان في قوله " وأهل البصرة اذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة و يسميها أهل الكوفة الجهاز سوك والجارسوك بالفارسية و يسمون السوق أو السويقة و إزار و الوزار بالفارسية و يسمون الققاء خيار و الخيار فارسية " فمن ذلك فأبو عثمان يرى أنه لا مجال لنفي وجود هذه التأثيرات الناتجة عن احتكاك العرب بالأمم و الشعوب المجاورة لها فمن المعلوم أن " تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة بل على العكس من ذلك فإن الأثر يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما في عملية التطور "

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 283.

(2) - الجاحظ ، البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 19 .

(3) - فندريس : اللغة ، ص 348.

و عقد الجاحظ باللحن و اللحنين تناول جوانب مختلفة من الأحداث الكلامية بين مختلف الفئات الاجتماعية و ذكر بعض اللحنين البلغاء " كخالد بن عبد الله القشيري و خالد بن صفوان الاهتمي و عيسى عبد المدور " (1) .

لم يحبذ الجاحظ اللحن لأنه فساد للسان و خروج عن الأصل و ذهاب بروح الفصاحة إذ يقول : و اللحن كما قال عبد الملك بن مروان " اللحن هجنة على الشريف " (2) و أيضا " اللحن في المنطق أقبح آثار الجذري في الوجه " ، و قد أجاز الجاحظ اللحن في رواياته للنوادر و مراعاة لقائلها و أمانة قوله " و متى سمعت - حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فإياك و أن تحكيها إلا مع إعرابها و مخارج ألفاظها فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها و أخرجتها مخرج كلام المولدين و البلدبن ، خرجت من تلك الحكاية و عليك فضل كبير (3) .

فالجاحظ يريد نقل الصورة الكلامية للحدث اللغوي كما وردت و دارت بين أهلها فهو " يريد أن يسجل ذلك وفق مبدأ أصيل من مبادئ علم اللغة الاجتماعي الذي يريد أن ضرورة تسجيل الحدث اللغوي كما نطق به صاحبه من حيث تركيبه و ملامحه النطقية و مستواه اللغوي " (4) ، فيقول " و كذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام و ملحمة من ملح الحشوة والظغام فإياك و أن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا فإن ذلك يفسد الإمتاع بها و يخرجها من صورتها و من الذي أريدت له و يذهب استطابتهم إياها و استملاحهم لها " (5) فيجب أن ترصد الأحداث اللغوية كما وقعت لا كما يجب أن تكون عليه .

## 01.02- أنواع اللحن عند الجاحظ :

اللحن أنواع وقف عندها الجاحظ صنفها عيسى عودة برهومة كما يلي :

اللحن النحوي ، اللحن الصوتي ، اللحن الاشتقائي

(1)- الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 2 ، ص 337.

(2)- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 335 .

(3)- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 96.

(4)- حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 280.

(5)- الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 2 ، ص 96.

01.01.02- اللحن النحوي :

و هو ما خالف القاعدة النحوية و يبدو ذلك فيما يرويه عن الوليد بن عبد الملك إذ قال مرة " يا غلام رد الفرسان الصادان عن الميدان " (1) بدلا أن يقول ' يا غلام رد الفرسين الصادين عن الميدان " و لهذه الأسباب ( العدول عن الصحيح ) كان أيوب السخيتاني يقول " تعلموا النحو فإنه جمال للوضع و تركه هجنة للشريف " (2) ، و قال عمر أيضا " تعلموا النحو كما تعلمون السنن و الفرائض " (3) لما له أهمية في تقويم اللسان و حدوث الصواب في الكلام .

02.01.02- اللحن الصوتي :

و هو عدم القدرة بالتلفظ ببعض الحروف كالطاء في قوله: وزعم يزيد مولى عون قال: " كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ضياء فكان إذا دعاها قال " يا ضمياء " بالضاد فقال له ابن المقفع " قل يا ظمياء " فنادها " يا ضمياء " قال فلما غير فيه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال هي جاريتي أو جاريتك ؟ "

03.01.02 - اللحن الاشتقائي :

في قوله و كان يوسف بن خالد يقول " هذا أحمر هذا " و يريد " هذا أشد حمرة من هذا " (4).

و نظر الجاحظ إلى اللحن على أنه واقع ثابت ضمن الصياغات اللغوية للأنماط الاجتماعية في ممارساتها الكلامية التي يمسها الفساد و انحرفت عن الصحيح في اللفظ والدلالة و أن أقبح لحن في رأي الجاحظ هو ما يعبر عنه قائلا " ثم اعلم أن أقبح اللحن

(1) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج2 ، ص 337.

(2) - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 337.

(3) - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 333.

(4) - الجاحظ ، البيان و التبيين، ج2 ، ص 334



لحن أصحاب التعيير (\*) و التعيب (\*\*) و التشديق (\*\*\*) و التمطيظ و الجهورة و التفخيم و أقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السابلة و بقرب مجامع الأسواق (1)

فمن خلال ذلك الدراسة للحن و البحث في خصائصه و أثره على اللغة و عقده بابا للحنين بمستويات مختلفة و وصفه لها من جوانبها المختلفة " حول الجاحظ أن يرسم لنفسه منهجا وصفيا غايته ما هو كائن مما يتكلمه الناس بالفعل لا ما يجب أن يتكلمون دون التورط في مسائل الصواب أو الخطأ و هو المنهج الذي يبحث عن الحقيقة لذاتها و هو منهج علمي موضوعي لا يغفل الملاحظة على اللغة و مراعاة سلامتها " (2)

فدخول اللحن على اللهجة الاجتماعية أو اللغة هو إشارة إلى بدايات التغير و التطور في الأطر الاجتماعية بمستوياتها و بناها المختلفة فمن خلالها ينظر الجاحظ إلى اللغة " على أنها ظاهرة متطورة ، و أن ما قد ينظر إليه على أنه لحن أو تحريف ليس إلا صورة من صور التطور و التغير الذين يلحقان على فترات الزمن "

### 03- اللمنة :

و يقابل مصطلح اللحن كما يقول حلمي خليل مصطلح اللمنة Aclent و اللمنة يعرفها ابن سيرة اللمنة فيقول " الألكن الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه جاء في اللسان في مادة لكن أن " اللمنة عجمة في اللسان و عي (\*) يقال رجل ألكن بين اللكن " (3)

و يبدو مصطلح اللمنة للدلالة على عدم استواء النطق باللغة العربية لعجمة في اللسان و مفهوم الجاحظ في ذلك هو قوله " و يقال في لسانه لكمة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب و جذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول (4)

\*- التعيير : النطق بأقصى الحلق

\*\*- التعيب : تقصير الكلام

\*\*\*- التشديق : التكلف في البلاغة

(1)- الجاحظ البيان و التبيين ، ج1 ، ص 96

(2)- كمال بشر : دراسات في علم اللغة ، ط3 ، دار المعارف بمصر القاهرة ، مصر 1972 م ، ص 50

\*- عي : عدم القدرة على الإفصاح .

(3)- ابن منظور : لسان العرب ، تح رشيد القاضي ، ج2 ، ط1 دار صبح ايدسوفت ، 2006 ، ص 313.

(4)- الجاحظ : البيان و التبيين ، ج1 ، ص34.

تحدث الجاحظ عن اللكنات التي لازمت ألسن بعض الشعراء و الخطباء و البلاغاء وغيرهم من العامة بقوله " فمن اللكن ممن كان خطيبا أو شاعرا أو كاتبا داهيا " (1) و ذكر منهم زياد بن سلمى ، أبو أمامة ، و عبيد الله بن زياد و من اللكنات :

- تحول السين شيئا و الطاء تاء ، في بيت زيد الأعجم الذي أنشد قوله :

فتى زاده السلطان في الود رفعة إذ غير السلطان كل خليل

فيقول : فتى زاده الشلتان

- تحويل الشين شيئا : منه ما روي عن سحيم عبد بني الحساس الذي أنشد أما عمر بن الخطاب (2)

عميرة ودع أن تجهزت غاديا كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا

قال له عمر رضي الله عنه لو قدمت / الإسلام على الشين لأجزتك قال : ما سعرت يريد ما شعرت و جعل الشين شيئا .

- تحويل الخاء هاء فيقول : و صهيب بن سنان يرتضخ لكنه رومية فقد كان يقول " أنك لهائن " يريد إنك لخائن "

- إبدال القاف كاف " كان أبو مسلم صاحب الدعوة كان جيد الألفاظ جيد المعاني و كان إذا أراد أن يقول " قلت لك " قال " قلت لك "

و أيضا قال بعض الشعراء في أم ولد له يذكر لكنتها :

أكثر ما أسمع منها في السحر تذكيرها الأنثى و تأنيث الذكر

و السوأة السواء في ذكر القمر

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر قالت : الكمر (3)

(1)- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 53.

(2)-المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 53- 54 .

(3)- الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 55.

فالجاحظ بهذا الترصد للممارسات اللغوية و السلوكات التواصلية بين مختلف الأنماط الاجتماعية يكشف عن مدى الانحرافات النطقية و كفيات الفساد اللساني و كذا التنوعات اللغوية و مستوياتها الطبقية " فقد ترتب على وقوع اللحن و ظهور للكلمات و اختلاف كلام الناس باختلاف طبقاتهم و ثقافتهم و مهنهم كم هائل من التنوعات اللغوية التي حاول الجاحظ رصدها في صورة لهجات إقليمية و اجتماعية بما لها من صلة بالعربية الفصحى standard language أو لغة العرب الخالص " (1).

#### 04- اللهجات الاجتماعية :

مما لا شك فيه أن المجتمع تشكيلة بنوية متنوعة اللهجات متفاوتة الطبقات متعددة السلوكات تبعا لاختلاف البنى الفكرية و الثقافية للأفراد حيث " أن المجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الارستقراطية و الدنيا و الطبقات الصناعية و الزراعية و التجارية و غيرها من أرباب المهن المختلفة و بقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات ومختلف " (2). و الجاحظ استنادا للخبرة الواسعة و المعاشرة لمختلف الطبقات الاجتماعية و ترقب ممارستهم اللغوية و التنقيب فيها استطاع أن يفصل بين الطبقات إذ يقول في تحديد لمفهومي كل من الطبقات العامة و الخاصة " و إذا سمعتموني أذكر العوام فإني لست أعني الفلاحين و الحشوة و الصناع و الباعة و ليت أعني الأكراد في الجبال و سكان الجزائر في البحار و لست أعني من الأمم مثل البيبر و الطليبان و مثل موقان و جيلان و مثل موقان و جيلان و مثل الزنج و أمثال الزنج و غنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس و الهند و الروم و الباوقن همج و أشباه همج " ثم يضيف بقوله " و أما العوام من أهل ملتنا و دعوتنا و لغتنا و أدبنا و أخلاقنا فالطبقة التي عقولها و أخلاقها فوق تلك الأمم و لم يبلغوا منزلة الخاصة منا علة أن الخاصة تتفاضل في الطبقتان أيضا " (3)

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص283.

(2) - هلال عبد الغفار : اللهجات العربية نقلا عن سهام مادن اللهجات العربية القديمة ، دط ، مؤسسة كنوز الحكمة ، 2011 ، ص67.

(3) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 91 .

و بذلك يكون الجاحظ في نصه هذا قد فصل في مختلف الطبقات مستندا إلى "معايير دينية و لغوية و أدبية و أخلاقية و عقلية و حضارية لكي يحدد طبقته العامة وطبقته الخاصة غير أنه يفرق بين ثلاث طبقات :

1. طبقة الفلاحين و الصناع و الباعة أي طبقة أصحاب الحرف و المهن
2. طبقة العوام التي تعلقو على الهمج و أشباه الهمج و لا تبلغ طبقة الخاصة
3. طبقة الخاصة التي لا يبلغها العوام (1)

فمن ذلك و بحكم الطبيعة و حكم العرف فالمجتمع مقسم إلى طبقات و لكل طبقة ميزتها اللغوية و أنماط و عادات سلوكية تقتضيها الطبيعة الإنسانية للأفراد و الجماعات و منه اختلاف اللهجات بين هذه الطبقات بما ينطبق و البنى الفكرية و التعليمية و الحضارية وأيضا المهنية .

فالجاحظ يشير مؤكدا إلى التنوعات داخل المجتمع ذلك " ان المجتمع الإنساني بطبقاته يؤثر في وجود لهجات ، فالطبقة الارستقراطية مثلا تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع و يلتحق بذلك أيضا ما نلاحظه من اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية إذ تنشأ لهجات تجارية و أخرى صناعية و ثالثة زراعية و هكذا " (2)

من ذلك استطاع أن يعطي صور الأنماط و الفئات الاجتماعية و ما ينطبع عليها من سلوكيات لغوية في الحياة اليومية و مدى الترابط التواصلي بين الأشخاص و الطبقات .

#### 01.04- المرأة و المجتمع :

خص الجاحظ محاور عدة عن المرأة باعتبارها عنصرا من عناصر التشكيلية البنوية للمجتمع و جزءا لا يتجزأ من هذا الكل فالمرأة الزوجة الأم و الشاعرة و الخطيبة و الناسكة و الزاهدة ... و لكل منهن طبائعها و ممارساتها الوظيفية ذات الدلالات و الصياغات اللغوية التي تترك آثار و بصمات الفكر في الخطابات التواصلية داخل المجتمع .

(1) - حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ص 275.

(2) - عبدو الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص 38.

تناول الجاحظ جوانب استحسان المرأة في العصر العباسي الذي عايشه فيرى أن كمال المرأة في نظر المجتمع العربي هو خلوها من عيوب النطق سليمة فصيحة بينة اللسان إذ لا يعتري لسانها عي و لا قبح .

و أوضح الجاحظ ذلك قوله فيما يتعرى اللسان من ضروب الآفات " قال ابن الأعرابي طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء و خاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال :

لثغاء تأتي بحيفس (\*) ألثغ تميمس في الموشى و المصبغ (1).

- كما استحس الجاحظ بعض العيوب عند النساء اللاتي أصاب ألسنتهن اللحن فيقول " واللحن من الجوارى الظراف و من الكواعب النواهد و من الشواب الملاح و من ذوات الخدور الغرائز أيسر ربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف و لكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد " (2).

لم يهمل الجاحظ هذه الفئة الدخيلة على المجتمع لما لها أثر بالغ في الممارسات اللغوية و صياغاتها الوظيفية و سياقاتها دلالية على التشكيلة البنوية للمجتمع و أيضا على اللهجة المستعملة محليا و اجتماعيا ذلك أن " اللغتين إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها " (3).

تحدث أبو عثمان أيضا على نساء اشتهرن بالبيان و الفصلة و الدهاء كن قد عاصرته و أخريات كانت سابقات العهد به ( العصر الأموي ) مشيرا إليهن بقوله " و من النساء رابعة القسية ، و معاذة العدوية امرأة صله بن أشيم ، و أم الدرداء و من نساء الخوارج البلحاء و غزالة ، و قطام و حمادة ، و جحيلة ، و من نساء الغالية ليلي الناعطية و الصدوق و هند " (4).

\* - بحيفس : الولد القصير الصغير .

(1) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 45.

(2) - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 96.

(3) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 214.

(4) - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 212.

أشار بالتعريف ببعضهن قائلاً " و من أهل الدهاء و النكراء و من أهل اللسن واللقن و الجواب العجيب و الكلام الصحيح و الأمثال السائرة و المخارج العجيبة ( هند بنت الخس ) و هي الزرقاء و ( جمعة بنت حابس ) و يقال إن حابسا من إباد " (1)

إن تفصيل الجاحظ في الفئات المختلفة الخاصة بالمرأة داخل المجتمع دليل على إدراكه بالتنوع اللهجي لكل فئة و مدى التأثير الذي تتركه بين أفراد المجتمع من انطباعات ومعاملات .

### 05- التباين الاجتماعي عند الجاحظ :

من المعروف أن اللغة أداة يعبر بها الفرد عن أغراضه و حاجاته و ربط علاقاته مع الآخرين داخل المجتمع الواحد ، إذ هي المرآة العاكسة لاختلاف الدلالات و السلوكات لأنماط الحياة اليومية و ترجمان الفكر الثقافي الإنساني و الحضاري و ذاكرة التاريخ و الأجيال والأقوام و الأمم لذا يرى الفكر الحديث " أن اللغة من أعجب المبتكرات التي أظهرها التطور البشري فيجب الوقوف عندها ، بل و إطالة الوقوف لنرى الدور الذي تؤديه على وجه الدقة و النصيب الذي تقوم به في التطور العقلي ، ثم ما هي صلات الفرد و الجماعة فيما يختص بإنتاج هذه الأداة القيمة و إكمال ما فيها من نقص على مر الأزمنة " (2).

و أبو عثمان كان سباقا لهذا التفكير متفحصا دقائق الأمور التي اختص باللغة داخل المجتمع و كان متبصرا عاقلا للعلاقة القائمة بين اللغة و المجتمع فهو " يشير بوضوح لشيوخ أساليب من النطق بالعربية يعرف منها أنه المتكلم من خرسان أو من الأهواز أو انه نبطي أو يماني " (3) .

إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة فإنك مع إعرابه و تخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خرساني و كذلك إن كان من كتاب الأهواز " (4) .

(1)-المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 188.

(2)- فندريس : اللغة ، ص 5.

(3)- إبراهيم خليل : مدخل الى علم اللغة ، ط 1 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ، 2010 ، ص 59.

(4)- الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 52.

فالنص دلالة واضحة أن اللغة نشاط اجتماعي و صورة عاكسة للسان محدثها وتعبير عن مدى انتماء صاحبها لأن هذا الأخير ما هو إلا إنسان يحاكي لسان قومه الذي نشأ به و منه أخذ ذلك " أن العرب الذين يسكنون الجزيرة و ما حولها يعيشون قبائل ، و كانت هذه القبائل تختلف في لغتها ، و هذا الخلاف قد يكون خلافا في كلمات ، فقبيلة تستعمل البر و قبيلة تستعمل القمح و حمير تستعمل كلمة " القيل " لما يستعمل فيه العدنانيون " الملك " وهكذا ... و قد يكون الاختلاف في الحركات ، فبعض القبائل تفتح حروف المضارعة فيقولون " نستعين " و بعضها كأسد تكسرهما فتقول " يسعين " و كذلك هناك أنواع عديدة من الاختلافات فبعض القبائل تقول : أولئك و بعضها تقول : أليك <sup>(1)</sup> و لكن قبيلة لهجتها الخاصة و مفرداتها التي تشي بانتماء متحدثها إلى قبيلة أخرى و في ذلك يقول الجاحظ " ألا ترى السندي اذا أجنب كبيرا فغنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زيا و لو أقام في علياء وتميم و سفلى قيس و بين عجر هوازن خمسين عاما ، و كذلك النبطي القح يجعل الزاي سينا فإذا أراد أن يقول زورق قال : سورك و يجعل همزة فإذا أراد أن يقول مشعل قال مشمل " <sup>(2)</sup>

تناول الجاحظ مختلف الفئات الاجتماعية بطبقاتها في الكشف عن التنوعات الخطابية تمحيصا و تدقيقا بما يتناسب و جانبيها الفكري و الثقافي و المستوى الاقتصادي الاجتماعي مفردا لكل منها ( الفئة ) بابا نذكر البعض منها :

أفرد أبو عثمان باب في كتابه - البيان و التبیین - للمعلمين حيث كان يصف هذه الفئة الاجتماعية داخل المجتمع العباسي فيقول " و المعلمون عندي على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة و منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة " <sup>(3)</sup> ، و يذكر أيضا معلمين اختصوا بتدريس العامة من الناس قائلا " فإن ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية و سفلة فما هم في ذلك إلا كغيرهم " .

(1) - أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج2 ، ص243.

(2) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج1 ، ص53.

(3) - عزت السيد أحمد : فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ، ص44.

و في أقوال الجاحظ إشارة إلى الطبقات الاجتماعية و تنوعاتها المتباينة فأبو عثمان لم يبتكرها من نسج خياله و لم يتصورها من العدم و إنما استمدّها من الواقع العباسي حيث أن " توزع أفراد مجتمع الحاضرة العباسية في عصر الجاحظ بين ثلاث طبقات رئيسية عليا و وسطى و دنيا ، و هذا التنوع لا يختلف عن أي توزع طبقي في أي مجتمع من المجتمعات أو حتى عن أي عصر من العصور و لكن الاختلاف هو في المنتمين إلى هذه الطبقات الذين يتفاوتون و يتباينون من مجتمع إلى آخر "

و يفصل بعض الدارسين في تقسيم الجاحظ للمجتمع بحسب رأيه إذ يقول عزت السيد أحمد " قسم الجاحظ المجتمع إلى طبقات ثلاث الطبقة الأولى و هي العليا و تضم السلطة السياسية و العسكرية بدءا بالخلفاء و الأمراء و الوزراء ثم قادة الجيوش و الولاة وصولا إلى كبار أعوان الدولة من أصحاب الاقطاعات و رؤوس التجار و الطبقة الثانية وهي الوسطى و تضم حالات الفكر و العلم و الدين و الأدب و التجار و موظفي الدواوين و رجال الجيش و صناع المهرة ، و أخيرا الطبقة الدنيا و تضم عامة أفراد الشعب من صغار الكسبة و الحرفيين و الزراع و الخدم و الرقيق " (1)

و قد كان حسب هذا التقسيم في الطبقة الثانية كما وصفهم الجاحظ و خصهم بسمو الرفعة رجال العلم أو كما يصفهم بالراسخين فالعلم و هم رجال ذوي علم و معرفة و رفعة في التفكير و سمو التبصير كون هذه الطبقة لها لغتها الخاصة داخل الإطار الاجتماعي الذي تركز إليه و منزلتها المعترية مشيرا إليها قائلا " قال بعض الريانيين (\*) ، من الأدباء و أهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق و التعمق و يبغض الاعتراف في القول و التكلف والاجتلاب(\*\*) ، و يعرف أكثر أدواء الكلام و دوائه ، و ما يعتري المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول و ما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع و الذي للمعاني و الخلافة و حسن المنطق ، قال بعض مواعظه : أنذرکم حسن الألفاظ و حلاوة مخارج الكلام فإن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا و أعاره البليغ مخرجا سهلا و منحه المتكلم قولاً متعشقا صار في قلبك

(1) - عزت السيد أحمد : فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ، دط، ص 46.

\* - الريانيون : الراسخون بالعلم .

\*\* - الاجتلاب : الاستعانة بمعاني و أفكار سواء لفقرة في معانيه .



ولصدرك أملاً و المعاني إذا اكتسبت الألفاظ الكريمة و ألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها و أربت على حقائق أقدارها " (1)

و قد كان في لغة العلماء و الفقهاء ، أو كما سماهم الجاحظ الريانيين عبر و حكم تحتكم إليه مختلف الطبقات الاجتماعية لما تجد فيها من حلاوة اللفظ و صحة المنطق و بيان الأمور و تعديل النفوس و تنوير العقول و القلوب و يسرد الجاحظ من بعض حكم و عبر لهؤلاء العلماء البلغاء فيقول : و " حدثني مهدي بن ميمون قال : حدثنا غيلان بن جيري قال : كان مطرف بن عبد اللع يقول : لا يقبل طعامك من لا يشتهييه ، يقول : لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجه ، و قال عبد الله بن مسعود : حدث الناس ما حد جوك بأسماعهم و لحظوك بأبصارهم فإذا رأيت منهم فترة (\*) فأمسك " (2) ، و قال أيضا " قال أبو الحسن : قيل لإياس (\*\*): ما فيك عيب إلا كثرة الكلام قال: فتسمعون صوابا أم خطأ قالوا : بل صوابا ، قال فالزيادة من الخير خير و ليس - كما قال - للكلام غاية و النشاط السامعين نهاية " (3)، عرفت هذه الطبقة ببلاغة اللفظ و حسن صياغته الرأي للموقف و قوة الحكمة في الوعظ و شدة وقع الكلمة في القلب و النفس و يرد في ذلك بعض أقوال البلغاء في التعزية فيقول " بما توفي معاوية جلس ابنه يزيد و دخل عليه عطاء بن صيفي الثقافي فقال : يا أمير المؤمنين أصبحت و قد رزئت خليفة الله و أعطيت خلافة الله و قد قضي معاوية نحبه فغفر الله ذنوب ، و قد أعطيت بعده الرئاسة و وليت السياسة فأحتسب عند الله أعظم الرزية و أشكره على أفضل العطية " (4) .

و من الطبقات الدنيا فقد ساق الجاحظ أحاديث عن فئات مختلفة منها النوكي (\*\*\*) و المجانين و الموسوسين لما يحملون من طبائع و خصائص لغوية و لهجات تعرب عن طريقة تفكيرهم و انفعالاتهم و استجاباتهم و أبو عثمان لم يهمل هذه الطبقة في التحدث

(1) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 57.

\* - فترة : كسلا .

(2) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 72.

\*\* - هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني أبو وائلة ، قاضي البصرة ، أحد عجائب الدهر بالذكاء و الفطنة .

(3) - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 70.

(4) - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 328.

\*\*\* - النوكي : الحمقى .

عنها لأنها كيان واقعي داخل الحيز الاجتماعي له معاملاته الخاصة و طبائعه المتميزة ومركزها الاجتماعي أيضا الخاص بها فيقول في ذلك : " و من المجانين و الموسوسين والنوكي ابن فتيان وصباح الموسوس و رسيمون اليوناني و أبو حية النميري و أبو سي الحاسب و جعيفران الشاعر ، و جرنفس " (1).

و الجاحظ على دراية واضحة متفقا لعوالم هذه الفئة البسيطة واعيا ببساطة تفكيرهم و سذاجة استجاباتهم في المواقف بما يتلاءم و الوضعيات المختلفة و ذكر واحد منهم قصة هشيرا إلى ذلك قوله " و لكل من هؤلاء قصة سنذكرها في موضعها إنشاء الله "

من ذلك " ريسمون " فكان من موسوسي اليونانيين إذ رآه رجل يأكل في السوق فقال : ما بال ريسمون يأكل في السوق؟ قال : إذا جاع في السوق أكل في السوق و ألح عليه بالشتيمة رجل و هو ساكت فقيل له : يشتمك مثل هذا و أنت ساكت؟ قال : أرأيت إن نبحك كلب أنتبحه و رمحك حمار أترمحه" ، و أضاف أبو عثمان : " و من مجانين الكوفة ( عيناة ) و ( طاق البصل ) حدثني صديق لي قال : قلت لعيناة : " أيما أجن : أنت أو طاق البصل؟ قال أنا شيء و طاق البصل شيء " (2).

سرد الجاحظ قصص عديدة لما يحمله المجتمع من طبقات طبعت آثارها في المعاملات و الممارسات التواصلية للحياة اليومية بين مختلف الفئات الاجتماعية و ما تحمله من رسائل لغوية بمدى التباين الثقافي و الفكري و الاقتصادي و السياسي و المعنى وعوامل اجتماعية أخرى ذلك " أن العوامل الاجتماعية لها دور أساسي في نشأة اللهجات لأن المجتمع طبقات ، طبقة غنية و متوسطة و فقيرة فالطبقة الغنية تنمق في كلامها و تنتقي ألفاظها لأنها تمثل أرقى الطبقات و بالتالي تحاول أن تبدو أحسن الصور على جميع المستويات على خلاف الطبقتين المتوسطة و الفقيرة اللتين تمتازان بالعفوية و البساطة لبساطة حياتهما " (3) .

(1) - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 340.

(2) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 2 ، ص 342.

(3) - سهام مادن : اللهجات العربية القديمة ، ص 67.

## اللغة و علم النفس عند الجاحظ :

لم يكتف الجاحظ بالوقوف عند اللهجات الاجتماعية و ما تحمله المجموعة الإنسانية من أحداث كلامية و أنماط ثقافية ، بل غاص في هذا الإطار الكامل لترصد التعبيرات الفردية و الصور النفسية الكامنة في سلوكياتهم الشخصية المتأثرة بما يجول في خواطر الأفراد من عواطف و أحاسيس و رغبات " فعلم النفس يتعامل مع اللغة باعتبارها سلوكا يمكن إخضاعه للدراسة باستخدام المناهج و الأساليب السيكولوجية المختلفة فهو يهتم بالإدراك و كيف يختلف الناس في إدراكهم للكلمات أو في تحديد ملامحها الدلالية و كيفية اكتساب اللغة و تعلمها " (1)

و الجاحظ تعامل مع اللغة تعامل عالم النفس مدركا الأساليب السيكولوجية و أن النفس عالم خفي متنوع الانفعالات و الحقائق و الخبرات لا يدركها إلا صاحبها و لا تتجلى إلى من خلال السلوكيات اللغوية ذات الصياغات المختلفة يقول الجاحظ " المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم و المختلجة في نفوسهم و المتصلة بخواطرهم و الحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية و بعيدة و حسية و محجوبة مكنونة و موجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، و لا حاجة أخيه و خليطه ، و لا معنى شريكه والمعاون له على أموره ، و على ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره و إنما تحيا تلك المعاني في ذكركم و لها و إخبارهم عنها و استعمالهم إياها و هذه الخصال هي التي تقرئها من الفهم وتجلبها للعقل و تجعل الخفي منها ظاهرا و الغائب شاهدا و البعيد قريبا " (2) .

فالجاحظ يقر بأن اللغة تعبير عن المكونات الداخلية للشخص و اختلاجاته الانفعالية و تعكس طبائعه النفسية و ما تحمله من حالات نفسية شعورية و لا شعورية فعالم اللغة الحديث سايبير " يرى أن مفردات اللغة تعكس بصورة واضحة المحيط الطبيعي والاجتماعي للقوم الذين يتكلمونها ليس هذا فحسب بل إنها تعكس بعض المميزات النفسية

(1) - جمعة سيد يوسف : سيكولوجية اللغة و المرض العقلي ، دط، عالم المعرفة الكويت ، 1990 ، ص 16.

(2) - الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 56 .

للمتكلم أو الجماعة و من الخطأ أن نتصور أن الإنسان يمكن أن يتكيف دون استخدام اللغة " (1).

عالج الجاحظ بعض الاضطرابات الكلامية التي كشف عنها علم النفس الحديث كالحبسة أو ما يصطلح عليها " بالافيزي و هي اصطلاح يوناني الأصل يتضمن مجموعة العيوب التي تتصل بفقد القدرة على التعبير بالكلام أو بالكتابة أو عدم القدرة على فهم معنى الكلمات المنطوقة بها " (2).

تحدث أيضا عن اللججة و التلعثم " حيث أن اللججة هي إعاقة الكلام حيث تعوق تدفق الكلام بالتردد و بتكرار سريع لعناصر الكلام و بتشنجات عضلات التنفس أو النطق أما اللعثة فهي اضطراب في الكلام يتميز بوقفات تشنجية أو تردد في النطق " (3)

فيقول الجاحظ في الحبسة و غيرها من اضطرابات الكلام " إذ الرجل يتلجلج بتلجلج في كلامه قال : خالف هذا و خالف عمر ابن العاص الواحد و يقال في لسانه حبسة ، إذا كان الكلام يثقل عليه و لم يبلغ حد الفأفاء و التمثام " ، فتحدث الحكلة إذ يقول " فإذا قالوا في لسانه حكمة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق و عجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال " (4).

و أجمل الجاحظ أبرز اضطرابات الكلام في قوله " و احدهما ألوم عن صاحبه والألسنة إليه أسرع و ليس للجلاج و التمثام (\*) و الألف (\*\*) و الفأفاء (\*\*\*) و ذو الحبسة والحكمة و الرثة (\*\*\*\*) و ذو اللف (\*\*\*\*\*) و الوجلة في سبيل الحصر في خطبته و العي

(1) - جمعة سيد يوسف : سيكولوجية اللغة و المرض العقلي ، ص30.

(2) - جمعة السيد : سيكولوجية اللغة و المرض العقلي ، ص173.

(3) - المرجع نفسه ، ص176.

(4) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 34 .

\* - التمثام : من يرد كلامه الى التاء و الميم .

\*\* - الألف : هو من يميل لسانه من السين الى التاء أو من الراء الى الغين .

\*\*\* - الفأفاء : من يردد الفاء.

\*\*\*\* - الرثة : العجلة في الكلام .

في مناظرة خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء و البكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار و الخطل المكثار " (1).

فالجاحظ كان يعني الاضطرابات أو أمراض الكلام التي تصيب الإنسان قد تعود إلى عوامل نفسية أو اضطرابات في الجهاز النطقي من جانبه الخلقى أو الوظيفي و هذا ما تحدثت عنه العلوم الحديثة حيث " جرت عمارة الباحثين أن يقسموا اضطرابات الكلام و عيوب النطق إلى قسمين رئيسين :

أولاً : عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب أو عوامل عضوية

ثانياً : عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب وظيفية " (2)

و قد تناول الجاحظ هذه العيوب بالدراسة و الشرح و هو العالم بوظائف الجهاز النطقي مدركاً لعله ، فتحدث عن الحبسة و الحكلة و اللغثة و غيرها و فصل في كل واحدة منها قوله " و أما اللغثة في الرء فتكون في الياء و الدال و الغين و هي أقلها قبها و أحبها في كبار الناس و بلغائهم و أشرافهم و علمائهم " كما أخذ الجاحظ بالشرح لدور الأسنان في عملية النطق " و وظائف النفس و وصفها قوله " و كذلك الأنفاس مقسومة على المنخرين فحالا يكون الاسترواح و دفع البخار من الجوف من الشق الأيمن و حالا من الشدق الأيسر " و غيرها من الوظائف الأخرى و بذلك يمكن أن نقول أن الجاحظ كشف عن اللغة من جوانبها السيكولوجية وفق الدراسات العلمية الحديثة .

\*\*\*\* - اللفف : هو العي الذي اذا تكلم ملأ لسانه فمه .

(1) - الجاحظ : البيان و التبیین ، ج 1 ، ص 15.

(2) - جمعة سيد يوسف : سيكولوجية اللغة و المرض العقلي ، ص 170.

## الجاحظ و الانثروبولوجيا :

من أهم القضايا التي اهتم بها علم الاجتماع اللغوي البحث في العلاقات القائمة بين اللغة و المجتمع و تمحص دقائقها و البحث في مساراتها و النظر في مدى الكشف عن الأنماط الثقافية و السياسية و الاقتصادية باعتبارها أساسات للبنى الاجتماعية بوساطة اللغة و قد " تناول الجاحظ محددًا معالمها و قد عرض الجاحظ اهتماماته الانثروبولوجية والتاريخية في السجاي و الخصال المختلفة " (1) .

و لعل أهم المواضيع التي عالجها الجاحظ و بدقة في كتابه - البيان و التبيين - تناوله لمظهر امتزاج الثقافات فيقول أحمد أمين في هذا الصدد " و الذي يهمننا هنا مظهر امتزاج الثقافات في هذا الكتاب - البيان و التبيين - و الحق أن للثقافة العربية فيه المظهر الأكبر ومع هذا فحظ الثقافات الأخرى في هذا الكتاب غير قليل ، أنظر إليه و هو يقارن بين آراء الأمم في تعريف البلاغة " (2) ، و قد كان الجاحظ واضحا في ذلك حين يقول " قيل : تصحيح الأقسام و اختيار الكلام فقيل للروحي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة و انتهاز الفرصة و حسن الإشارة و قال بعض أهل الهند ، جماع البلاغة البصر بالحجة و المعرفة بموضع الفرصة " (3) .

و تناول الجاحظ موضوع الخطابة باعتبارها نوعا من التواصل الفكري الثقافي الذي يبحث في انشغالات المجتمع بجوانبه المختلفة الدينية السياسية ، الاقتصادية ، الأخلاقية ... إذ يقول " الخطابة شيء في جميع الأمم و بكل الأجيال إليه أعظم الحاجة " (4) فالخطابة فن شائع عند سائر الأمم لما لها وقع في النفوس و تأثير في العقول " إذ قارن بين مقدرة العرب على الخطابة " و مقدرة الفرس و الزنج و يحكي أن للفرس كتابا في صناعة البلاغة و أن لليونان " منطقا " يعرف به السقم من الصحة و الخطأ من الصواب " (5) و أيضا " أن

(1) - مي يوسف : الجاحظ في كتاب المستشرقين نقلا عن عيسى عودة برهومة ( تمثلات اللغة و المجتمع في البيان والتبيين ) ، ص 25 .

(2) - أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج 1 ، ص 411 .

(3) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 63 .

(4) - المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 417 .

(5) - أحمد أمين : ضحى الاسلام ، ج 1 ، ص 411 ، 412 .

للهندود كتبنا في الحكم و الأسرار من قرأها عرف تلك العقول و غرائب تلك الحكم " (1) و يضع العرب في المراتب الأولى في حمل هذا الفن لما لها قوة البديهة بقوله " كل شيء للعرب فإنها هو بديهة و ارتجال و كأنه الهام ، و لست هناك معاناة و لا مكابدة و لا إحالة فكرة ، و لا استعانة ، و إنما هو أن ينصرف و همه إلى الكلام ، و إلى جز يوم الخصام أو حين يمتح على رأس بئر ، أو يحدو ببعير أو عند المقارعة و المناقلة أو عند الخصام أو في الحرب " (2).

كما يعرب أبو عثمان عن فصاحة الفارسي و جزالة ألفاظه و سلاستها في خطبته " و قد علمنا أن أخطب الناس الفرس و أخطب الفرس أهل فارس و أعذبهم كلاما و أسهلهم مخرجا و أحسنهم ولاء و أشدهم فيه تحنكا أهل مرو ، و أفصحهم بالفارسية الدربة و باللغة الفهلوية أهل قسبة الأهواز " (3) ، بالإضافة إلى هذا التفاضل بين الأقسام المختلفة في مجال الخطابة يذهب الجاحظ إلى الإشارة للإطلاع على الثقافات الأخرى و ذلك عن طريق بعض الكتب اللغوية التي توحى بالفكر اليوناني و الفارسي إذ يقول في هذا " و من أحب أن يبلغ صناعة البلاغة و يعرف الغريب و يتبحر في اللغة فلنقرأ " كتاب كاروند " و من احتاج إلى العقل و الأدب و العلم بالمراتب و العبر و المثالات (\*) و الألفاظ الكريمة و المعاني الشريفة فلينظر إلى سير الملوك " (4) .

من دون شك أن الجاحظ متشبع بمختلف الثقافات الفارسية و اليونانية و الهندية وغيرها فهو يدرك إدراكا تاما بمدى الفائدة العظيمة لهذه الكتب واثقا بمدى تقييمه لها و لمحتواياتها الفكرية و الأدبية واعيا للإطلاع عليها إذ يقول " فهذه الفرس و رسائلها و خطبها و ألفاظها و معانيها و هذه يونان و رسائلها و خطبها و عللها و حكمها ، و هذه كتبها في المنطق إلى قد جعلتها الحكماء بها يعرف السقم من الصحة و الخطأ من الصواب و هذه

(1) - المصدر نفسه ، ج3 ، ص 417 .

(2) - المصدر نفسه ، ج3 ، ص425 ، 426 .

(3) - الجاحظ : البيان و التبيين ، ج3 ، ص417 .

\* - المثالات : العقوبة و التنكيل .

(4) - المصدر نفسه ، ج3 ، ص417 .

كتب الهند في حكمها و أسرارها و سيرها و عللها فمن قرأ هذه الكتب عرف غور تلك العقول و غرائب تلك الحكم " فهذه الآثار مفاتيح للإطلاع على ثقافات الفكر الاجتماعي .

### الجاحظ و فقه اللغة :

اهتم السوسيوغويون إلى جانب شتى من المحاور الأساسية التي تختص بجوانب اللغة و علاقتها بالمجتمع ، بالبحث في أصول اللغة و الاعتزاز بجذورها إلى الإعجاب الذي تجاوز الحد المعقول و قال كل يقدم لغته و افتخر بمجدها الأثيل ، و أنها باقية على الدهر ، فزعم الصينيون ذلك و ادعى الأرمن أن لغتهم صاحبة الشرف و أن اللغات الأخرى فروع عليها " (1) و اعتقد كل قوم أن لغتهم هي الأصل و الأسمى " و زعم العبرانيون أن العبرية هي اللغة الأولى و أن الله قد علم آدم هذه اللغة الشريفة و هم يبنون دعواهم هذه على ما جاء في الإصحاح الثاني من سفر التكوين و « جبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية و كل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها و كل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها فدعا آدم بأسماء جميع البهائم و طيور السماء و جميع حيوانات البرية» (2) .

و اعتقدت أقوام أخرى أن لغتها أرقى اللغات و أسماها " فزعم الآراميون أن لغتهم أشرف اللغات و أنها لغة الأسفار المقدسة و اعتقد الإغريق أن لغتهم ذات شرف و مجد و أنها لغة الحكمة و أنها خلاصة ما يصل إليه العقل البشري " ، ثم جاء المسلمون فبحثوا في العربية و أعجبوا بها و سحرتهم بلغة التنزيل " (3) ، و ذهب الجاحظ إلى القول بسمو العربية فضلا عن أنها لغة القرآن فهي من اللغات السامية و بحث في البدايات الأولى لنشأتها ، و تحديد التاريخ أو مراحل بداياتها فيقول " القول في إنطاق عز و جل إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام بالعربية المبينة من غير التلقين و التمرين و على غير التدريس

(1) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج3 ، ص417.

(2) - إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن (دط) ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص7.

(3) - إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن ، ص7.



والتدرج و كيف صار عربيا أعجمي الأبوين<sup>(1)</sup> ، و يعد أول من نطق به فيقول " قال أبو عبيدة : حدثنا مسمع بن عبد الملك بن أبي جعفر بن علي بن الحسين عن آبائه قال : أول من فتل لسانه بالعربية المبينة إسماعيل و هو ابن أربع عشرة سنة " ، و " أن الله الهم إسماعيل العربية إلهاما" و الحقيقة أن الجاحظ لم يعط براهين و لم يحتكم إلى حكم علمي موضوعي دقيق في هذه المسألة التي ساقها من غير تحقيق و لا تمحيص و ذلك يقول الجاحظ " يجوز أن يكون الله تبارك و تعالى حين حول إسماعيل عربيا أن يكون كما حول طبع لسانه إلى لسانهم و باعده عن لسان العجم ، أن يكون أيضا حول سائر غرائزه و سلخ سائر طبائعه فنقلها كيف أحب و ركبها كيف شاء ، ثم فضله بعد ذلك بما أعطاه من الأخلاق المحمودة " (2).

و تحدث أبو عثمان أيضا عن الأصول الأولى للأقوام العربية مستكرا معرفة البدايات الأولى لهذه الأصول ربما يعود ذلك إلى عدم وجود آثار تثبت ذلك و تتفق الأبحاث قديمها و حديثها كما يقول إبراهيم السامرائي : " على أن العرب بأئده و عاربه و مستعربة فغننا لا نعرف عن هذه البائدة شيئا إلا ما يقصه علينا القرآن الكريم " (3) ، فيقول الجاحظ في هذا الصدد " و قد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة و القرون السالفة و لبعضهم بقايا قليلة و هم أشلاء في العرب متفرقون مغمورون مثل جرهم و جاسم و وبار و هملاق و أميم و طسم و جديس و لقمان و الهس ماس و بني الناصور و قيل ابن عتر و ذي جدن و يقال في بني الناصور أن أصلهم من الروم فأما ثمود فقد خبر الله عز و جل عنهم " (4) فقال " و

(1) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج3 ، ص557.

(2) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج3 ، ص558.

(3) - إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن ، ص31 .

(4) - عبدو الراجعي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص20.

ثمود فما أبقى " ( سورة النجم الآية 51 ) فأما الأمم البائدة من العجم مثل كنعان شأن الأموات ولا الأحياء " (1) .

و ظلت الدراسات التي قدمها الجاحظ فيما يخص هذه المسألة مبنية على معطيات وتأملات دون تعديلات مادية ملموسة إلا أنها كانت المنطلقات الأولى للدراسات اللغوية عبر مراحل متتالية و كذلك يمكن أن نقول أن الجاحظ كان من الأوائل الذين أشاروا إلى البحث في الأصول القبلية عن طريق الآثار اللغوية المتعددة الصياغات " و ظلت الدراسات اللغوية ملازمة حالة واحدة عبر العصور فلم يجد فيها شيء و ما كان من اللاحق إلا أن يؤكد ما قاله الأقدمون و ينسج منواله " (2) .

(1) - الجاحظ البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 120.

(2) - إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن ، ص 12.

الخطبة

## الخاتمة

من خلال هذه الدراسة خلصنا إلى بعض النتائج أفرزها البحث بالتحليل لقضايا ومحاور أساسية تبرز تحليل جهود الجاحظ لتأسيس علم اجتماع لغوي و إثبات قدراته الفكرية و نبوغه العلمي و المعرفي اللذين مكناه من أن يكون له فضل السبق للتظير لعلم من العلوم السوسيوولوجية و التي برزت معالمها في العصر الحديث .

- فمن البديهي أن أي مجتمع من المجتمعات له ثقافته و معتقداته و سلوكاته و أن لكل من هذه العناصر تجلياتها و انطباعاتها في الممارسات للحياة اليومية للأفراد والجماعات و ذلك في سياقاتهم الكلامية و معاملاتهم التواصلية مما أثبت الوجود الحقيقي والواقعي للترابط الفعلي و التفاعل التكاملي بين اللغة و المجتمع .

- أثبتت الدراسات الحديثة أن لكل ظاهرة من الظواهر - أية ظاهرة لها اختصاصها العلمي في الدراسة ، فعلم الاجتماع اختص بالظواهر الاجتماعية و علم اللغة اختص بدراسة اللغة كما اختص علم الاجتماع اللغوي بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع ، و أن لهذا العلم أصوله و مبادئه النظرية و العلمية التي يرمي إلى البحث في دقائق أمور اللغة و علاقاتها بالتطورات الاجتماعية و تنوعاتها و أيضا مستوياتها الثقافية و الفكرية ...

- إبراز مدى التطابق و مدى الاختلاف بين البنى اللغوية و البنى الاجتماعية من خلال - البيان و التبيين " نستطيع القول بأن الجاحظ له نظام فكري متميز في كيفية التحليل و التعليل بروح علمية و موضوعية دقيقة ، أفصحت عن العلاقة التفاعلية بين اللغة والمجتمع و ذلك باستقصاء الوقائع الاجتماعية و الأحداث الكلامية المواكبة لعصره و هذا إنما يدل على خبرته الواسعة و الدماجة القوي في الأوساط الاجتماعية بطبقاتها وممارساتها.

- أدرك الجاحظ طبيعة اللغة و ماهيتها و أن اللغة نظام يتميز بتميز بأدوات إجرائية هامة في عملية التواصل اللغوي بين المتكلمين .

- أثبت الجاحظ مستويات و أساليب التعبير فكشف عن الدلالات الخمس وفق معايير محكمة معتمدا الاستدلال العقلي .

- وضع الجاحظ مبادئ الموقف الكلامي و سياقاته و أدرك أهمية المقام للمقال والعلاقة القائمة بين المخاطب و المتلقي لحصول العملية التواصلية ، فلكل مقام حديث خاص به ، و لكل متلق ألفاظ خاصة به .

- أثبت الجاحظ قوانين التطور اللغوي و أرسى مبادئ التنوع الاجتماعي و العوامل والأسباب التي كان لها الدور الفعال في ذلك و علاقة كل من اللغة و المجتمع .

- بين الجاحظ تشكيلات البنى الاجتماعية و ما أسفرت عنه من ظهور لهجات خاصة تفصح عن القول بالتباين الطبقي و المستوى الفكري و الثقافي .

- بحث الجاحظ في أصول اللغة و الثقافات الاجتماعية و الخصائص الفردية

- الجاحظ حينما تكلم عن خصائص اللغة و خصائص المجتمع فهو قد توصل إلى العلاقة القائمة بينهما ( اللغة و المجتمع ) .

و في الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا في بحثنا الذي أردنا من خلاله القول بأن التراث العربي الإسلامي يحمل كنوزا قد تضاهي ما أنتجه الفكر العربي تحتاج إلى من يهتم بها بالتحليل و التعليل و الدراسة و ربطه وفق منهجية علمية تتوافق و الموضوعية العلمية الدقيقة للعلوم الحديثة و من ثم الحفاظ على قيمة التراث الذي يعتبر " البيان و التبيين " جزءا لا يتجزأ منه و الجاحظ واحد من الذين صنعوا هذا التراث .

و لذا يمكن أن نضع الجاحظ في مصاف الرواد من العلماء الذين ساهموا في صنع الدرس اللغوي و الاجتماعي و له فضل السبق في التنظير لعلم الاجتماع اللغوي .

" وفقنا الله "

## ملخص البحث

تناول هذا البحث قضايا علم الاجتماع اللغوي عند الجاحظ من خلال كتابه " البيان و التبيين " و قد اشتمل البحث على مقدمة و فصول أربعة وخاتمة .

أما المقدمة فقد أشارت إلى أهمية الموضوع و أهدافه و الإشكال المطروح و الأسباب التي كانت وراء اختيار هذا الموضوع إضافة إلى المنهج المتبع فيه فيما كانت الفصول أربعة:

أولها اللغة و المجتمع تناولت فيها كل من مفهومي اللغة و المجتمع و مدى تأثير البنى اللغوية و الاجتماعية ، أما الفصل الثاني كان حول " علم الاجتماع اللغوي " و قد تطرقت لأهم القضايا و المحاور التي يتناولها هذا العلم بالدراسة ، بينما كان الفصل الثالث "اللغة و الاتصال عند الجاحظ " و تطرقت إلى محور البيان و الوظيفة الاجتماعية ثم أصناف الدلالات اللغوية عند الجاحظ مردوفة بالدراسة الصوتية عند الجاحظ و أيضا التنوع اللغوي عند الجاحظ ، في حين عنون الفصل الرابع بالتغيير اللغوي عند الجاحظ ، و فيه تكلمت عن مبدأ التغيير اللغوي و أسبابه و اللهجات الاجتماعية .

و أنهيت البحث بخاتمة شملت مجمل النتائج التي أحرزها هذا البحث ، ثم ملخصين بالعربية و الفرنسية مردوف بقائمة المصادر و المراجع مرتبة ترتيبا ألفبائيا.

## Résumé de recherche

Cette recherche a abordé un sujet de la sociologie du langage de « El Djahid » à partir de son livre « El bayane wa Etibyine » .

Cette recherche a inclus une introduction , 4 chapitres et une conclusion .

L'introduction , traite l'importance du sujet et ses objectifs le problème posé et les causes du choix de ce sujet ainsi que la méthode suivie .

En ce qui concerne les chapitres :

Dans le 1<sup>er</sup> chapitre : le langage et la société j'ai abordé la définition de la langue et la société et l'influence des structures sociales sur les structures linguistiques .

Le 2<sup>ème</sup> chapitre : j'ai traité le sujet de la sociologie linguistique et les questions les plus importantes et les thèmes abordés par cette science d'étude .

Pour le 3<sup>ème</sup> chapitre : j'ai parlé de la langue et la communication chez El Djahid en parlant du thème et du ( Elbayane ) et la fonction sociologique , ensuite les différentes catégories de structures linguistiques chez El Djahid , et l'étude des sons et les variétés linguistiques chez El Djahid , Alors que le 4<sup>ème</sup> chapitre est intitulé par le changement linguistique chez El Djahid , et j'ai essayé de mettre en évidence l'inégalité sociale chez El Djahid et la détection des dialectes sociaux.

Enfin , j'ai résumé les différents résultats de cette recherche accompagné des sources et des références qui sont classés par ordre alphabétique

# قائمة المصادر

## و المراجع



## قائمة المصادر و المراجع

1. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، مكتبة الانجلو مصرية ، مطبعة ابن وهبة القاهرة ، 1965م .
2. أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج 1 ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1997م .
3. أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج 2 ، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1990م .
4. أحمد رأفت عبد الجواد : مبادئ علم الاجتماع ( د ط ) ، مكتبة النهضة الشرق ، جامعة القاهرة مصر ، 1982م .
5. أحمد مومن : اللسانيات النشأة و التطور ، ط 3 ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ، 2007م .
6. الجاحظ عمرو بن بحر : البيان و التبیین ، تحقيق درويش جويدي ، ج 1 ، ط 1-3 ، المكتبة المصرية صيدا ، بيروت ، لبنان ، 2003م .
7. الجاحظ عمرو بن بحر: الحيوان تح عبد السلام هارون (ط 1) ، شركة مكتبة و مطبعة البابا الحلبي و أولاده مصر ، 1965م .
8. جمعة سيد يوسف : سيكولوجيا اللغة و المرض العقلي ، دط ، عالم المعرفة الكويت ، 1990م .
9. ابن جني ، الخصائص ، ج 1 ، ط 2 ، المكتبة المصرية ، مصر 1952 م .
10. حسن ظاظا : اللسان و الانسان مدخل الى معرفة اللغة ، ط 2 ، دار اعلم دمشق دار الشامية ، بيروت ، 1990م .
11. حلمي خليل : دراسات في اللغة و المعاجم ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، 1998 م
12. السامرائي : فقه اللغة المقارن / دط ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ، 1983م .

13. سهام هادن : اللهجات العربية القديمة ، دط ، مؤسسة كنوز الحكمة ، 2001م.
14. ضياء غني لفتة العبودي ، معلقة امرئ القيس في دراسات القدامى و المحدثين دار حامد للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2011م .
15. عبد الفتاح نافع ، الشعر العباسي ، قضايا و ظواهر ، ط1 ، دار جبير للنشر والتوزيع ، 2008م .
16. عبدو الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية .
17. عزت السيد أحمد : فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق ، سوريا ، 2005م.
18. علي بوملحم : المناجي الفلسفية عند الجاحظ ، ط1 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت 1994م.
19. علي عبد الواحد وافي : علم اللغة (ط9) ، نهضة مصر للطباعة و النشر ، مصر 2004م .
20. غازي مجيد النصر ، (دط) ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1986م.
21. فاردينااند دو سوسير : محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي ، مجيد النصر ، (دط) ، المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986 م.
22. ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة العربية وسائلها و سنن العرب في كلامها ، تح أحمد حسن بسبح ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م .
23. الفتح عثمان ابن جني : الخصائص ، تح محمد النجار ، ج1 ، ط2 دار الكتب المصرية، 1952م.
24. فندرسي : اللغة : ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، مكتبة الانجلو مصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، 1950م.
25. ابن قتيبة أدب الكاتب: تح محي الدين عبد الحميد ،(ط4) ، دار الجيل بيروت ، لبنان 1963م.

26. كمال بشر : دراسات في علم اللغة ، ط3 ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، مصر 1972م.
27. لويس جان كالفلي : علم الاجتماع اللغوي : ترجمة محمد يحيى تن ، دط، دار القصبية للنشر ، الجزائر ، 2006م.
28. محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994م.
29. محمد محمد يونس علي : مدخل إلى اللسانيات ، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة بنغازي ليبيا ، 2004م.
30. محمود السعران : اللغة و المجتمع رأي و منهج ، ط2 ، المطبعة الأهلية بينغازي ليبيا ، 1963م.
31. محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، (دط) ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، دت .
32. محمود عودة : أسس علم الاجتماع ، (د،ط) ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، دت .
33. منذر عياشي : قضايا لسانية و حضارية ، ط1 ، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر ، دمشق ، سوريا ، 1991م.
34. نور الهدى لوشن : مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، دط، دار الفتح للجليد الفني ، 2008م.
35. هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ط1 ، عالم الكتب الحديث جدار للكتاب العالمي ، عمان ، 2008م.
36. هدرسون : علم الاجتماع اللغوي ، ترجمة محمود عياد ، ط2 ، عالم الكتب القاهرة عبد الخالق تروت ، القاهرة مصر ، 1990م .
37. أبو هلال العسكري : الصناعتين الكتبة و الشعر ، علي محمد بجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية عسى البابا و شركاءه ، مصر 1952.

## المجلات

- محاضرات في اللسانيات الاجتماعية ، لطفي بوقرية بشار ، الجزائر .
- سيد غنيم : الفكر و اللغة عند الطفل ، مجلة عالم الفكر ، العدد الأول ، المجلد الثاني ، 1971م.
- نشأة اللغة و تطورها في مباحث اللغويين عند العرب و الأجانب ( مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الرابع 1979 ص7 ، هادي نهر .
- عيسى عودة برهومة ( تمثلات اللغة و المجتمع في البيان و التبیین ) المجلة الجامعية الهاشمية ، الأردن ، دت .

## المواقع:

- [www.mohamedrabeea.com/books/book1\\_1983](http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_1983)
- <http://ksarforum.com/vb/showthread.php?p=66354>
- [www.mohamedrabeea.com/books/book1\\_1983](http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_1983)
- [www.philadelphia.edu.jo/Library/200/210/Ar/ISLAM\\_AR.HTM](http://www.philadelphia.edu.jo/Library/200/210/Ar/ISLAM_AR.HTM)

فلاسر

الموضوعات

## فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ ، ب ، ج ، د ، ه ، و

01..... - الفصل الأول : اللغة و المجتمع

02..... • تمهيد

03..... • مفهوم اللغة

06..... • مفهوم المجتمع

07..... • وظيفة اللغة و أثرها على المجتمع

10..... • أثر المجتمع في اللغة

11..... • التطور اللغوي و صلته بالمجتمع

12..... • اللغة و التباين الاجتماعي

15..... • بين البنية اللغوية و البنية الاجتماعية

15 ..... أ- اللغة و القومية

16..... ب- اللغة و السياسة

16..... ج- اللغة و الاقتصاد

16..... د- اللغة و الدين

20..... - الفصل الثاني : علم الاجتماع اللغوي

21..... • مفهوم علم الاجتماع اللغوي

25..... • نشأة علم الاجتماع اللغوي

31..... • علم الاجتماع اللغوي و اللسانيات الاجتماعية

32..... • علم اللغة الاجتماعي و علم الاجتماع اللغوي

32..... • علم الاجتماع اللغوي و علاقته ببعض العلم

- 33..... علم اللغة العام و علم الاجتماع اللغوي
- 34..... علم الاجتماع اللغوي و علم النفس
- 35..... علم الاجتماع اللغوي و علم الانثروبولوجيا
- 36..... مجالات علم الاجتماع اللغوي
- 37..... موضوع علم الاجتماع اللغوي
- 38..... اللغة
- 40..... التغير اللغوي
- 41..... اللهجات
- 47..... أهميته
- 50..... الفصل الثالث : اللغة و التواصل
- 51..... قيمة كتاب البيان و التبيين
- 52..... البيان و الوظيفة الاجتماعية
- 56..... مستويات التعبير عند الجاحظ
- 56..... اللفظ
- 57..... الإشارة
- 57..... الخط
- 58..... العقد
- 58..... النسبة
- 60..... الجاحظ و الدراسة الصوتية
- 62..... مخارج الأصوات و وظائفها

- 64..... • التنوع اللغوي و سياق الموقف
- 69..... - أدب الضيافة عند العرب
- 71..... - الفصل الرابع : التغيير اللغوي عند الجاحظ
- 72..... • مبدأ التغيير اللغوي و أسبابه
- 75..... • اللحن
- 77..... - أنواع اللحن عند الجاحظ
- 79..... • اللكنة
- 80..... • اللهجات الاجتماعية
- 82..... - المرأة و المجتمع
- 83..... • التباين الاجتماعي عند الجاحظ
- 88..... - اللغة و علم النفس عند الجاحظ
- 91..... - الجاحظ و الانثربولوجيا
- 93..... - الجاحظ و فقه اللغة
- 96..... - الخاتمة
- 99..... - ملخص البحث عربية
- 100..... - ملخص البحث فرنسية
- 101..... - قائمة المصادر و المراجع
- 106..... - الفهرس